
ملف المستقبل
سري جداً!!
مملكة النار
Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف
د. نبيل فاروق

٤١

مملكة النار

- ما سر موكب الرُّعب الفرعونى ، الذى ظهر فجأة عند سفح الهرم الأكبر ؟
- لماذا يحمل الهرم الأكبر كل هذه الألغاز على مرّ العصور ؟
- أينجح (نور) وفريقه فى حل هذه الألغاز ، أم تبتلعهم مملكة النار ؟
- إقرأ التفاصيل المثيرة .. واشترك مع (نور) فى حل اللُّغز .



الثمن فى مصر
٦٠
وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربيـة والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الأرض الثانيـة



١ ـــ موكب الرعب ..

بزغ القمر بضوئه الفضى الهادئ ، من خلف مجموعة من الغيوم الداكنة ، فى ليلة من ليالى شتاء يناير ، وسقطت خيوطه المتألقة على منطقة أهرامات الجيزة الأثرية ، فامتدت أمامها ظلال الأهرامات الشامخة الثلاثة ، وتحوّل المكان فى لحظة إلى لوحة فنية ، أثارت النشوة فى قلب أحد رجلين يرتديان زيًّا رسميًّا ، ويسيران متجاورين على بعد مائتى متر من قاعدة الهرم الأكبر ، وغمغم الرجل فى همس :

ــ يا له من مشهد رائع !! إنه يخلب الألباب .

هزّ زميله كتفيه ، وقال فى لامبالاة :

ــ إننا نشاهده عشرة أيام فى كل شهر يا (أيمن) ، حينما يحين دورنا فى تسلُّم نوبة الحراسة الليلية للمنطقة .

ظلَّ (أيمن) يتطلّع إلى المشهد فى انبهار ، وهو يقول :

ــ إنه يخلب لُبّى فى كل مرّة يا (سامى) .

ثم أردف فى اهتمام :

ـــ يقولون إن هذه المنطقة كانت تجلب آلاف السائحين قديمًا .. أليس كذلك ؟

مطَّ (سامى) شفتيه ، وقال :

ـــ ما زال الملايين يلهثون من أجل مشاهدة المكـــــان يا صديقى ، ولكن الحكومة رأت بعد زلزال عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين ، أن المنطقة باتت من الخطورة ، بحيث ينبغى منع التحرُّك المباشر داخلها ، حفاظًا على تلك الآثار .

تطلَّع (أيمن) إلى الهرم الأكبر ، الـــذى بدا كالصرح الشامخ ، وقال :

ـــ هل تظن أن أية زلازل ـــ مهما بلغت قوتها ـــ يمكنها أن تسقط مثل هذا البناء ؟

هزَّ (سامى) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـــ لست أدرى ، علماء الآثار وحدهم يمكنهم تقرير ذلك .

ثم أردف فى ضجر :

ـــ وأعتقد أنه يجدر بك التحرُّك بمزيد من السرعة ، فلا ريب أننا سنجد (عصام) و (أشرف) فى قمة الملل ، فقد تأخرنا ربع ساعة عن موعد تسلُّمنا النوبة منهما .

زاد (أيمن) من سرعته ، وهو يغمغم :

ـــ نعم .. أنت محق .

اقتربا فى خطوات سريعة من بناء صغير ، يبعد نصف كيلومتر من قاعدة الأهرامات ، وهتف (سامى) وهو يدخله :

ـــ مرحبًا يا (عصام) .. يمكنك الانصراف الآن ، صحيح أننا تأخرنا ولكن ....

بتر عبارته بغتة ، وعقد حاجبيه وهو يتأمَّل زميله (عصام) ، الذى وقف يتطلَّع من نافذة البناء الزجاجية الكبيرة فى شرود ، وكأنه لم يسمعهما ، أو يشعر بدخولهما ، فعاد (سامى) يقول فى قلق :

ـــ (عصام) !.. ماذا بك ؟.

ارتجف (عصام) ، والتفت إليهما فى ذُعر ، وكأنه يستفيق من كابوس مرعب ، وهتف فى صوت مختنق :

ـــ معذرة يا رفاق .. ولكن ....

عقد (أيمن) حاجبيه بدوره ، وغمغم فى حَيْرة :

ـــ ماذا بك يا (عصام) ؟.. إنك تبدو مختلفًا هذا المساء .

ثم أردف فى قلق :

— وأين (أشرف) ؟

أشار (عصام) بأصابع مرتجفة إلى النافذة الزجاجية ، وبدا صوته شديد الاختلاف فى أذنى زميليه ، وهو يغمغم :

— لقد خرج يتفقد ما رأيناه .. ولم .. ولم يعد .

هتف (سامى) فى توتر :

— لم يعُد ؟!.. ماذا تعنى ؟

ظهرت الحيْرة على وجهه ، وهو يقول :

— لقد رأينا ....

أدار عينيه إلى النافذة الزجاجية ، وهو ينطق هذه العبارة ، ثم تراجع بغتة فى ذعر ، وهتف :

— يا إلهى !! ليس ثانيةً .

اندفع (أيمن) و (سامى) نحو النافذة الزجاجية الكبيرة ، ثم تراجعا بدورهما فى ذهول ، وخرجت الكلمات من بين شفتى (أيمن) مرتجفة ، وهو يقول :

— ما هذا ؟.. ما هذا بحق السماء ؟

فهناك .. عند قاعدة الهرم الأكبر تمامًا ، كان هناك موكب فرعونى ضخم ، يتحرك فى بطء وهدوء ، نحو عدد من كهنة قدماء المصريين القدماء ، يحيطون بإناء نحاسى ضخم ، استعرت

فيه النيران ، وتأججت ، وتطاير شررها ولهيبها على نحو مخيف ، وكان هناك خمسة رجال يتقدمون الموكب ، ويحملون تابوتًا فرعونيًا قديمًا ..

هتف (سامى) فى توتر :

— من أين أتى كل هؤلاء ؟.. لقد كان المكان خاليًا منذ لحظات فقط .

لم يلق هتافه آذانًا صاغية ، فقد كان (أيمن) و (عصام) يوليان اهتمامهما التام للمشهد العجيب ، ولم يزد (عصام) على أن غمغم فى عصبية :

— ولكن أين (أشرف) ؟!

توقف الموكب المخيف حول الإناء النحاسى ، والنيران المستعرة ، وانفصلت منه فتاة رشيقة ، ترتدى الزىّ المصرىّ القديم ، وركعت على ركبتيها أمام الكهنة ، الذين ألصقوا أكُفّهم اليمنى فوق رأسها ، ورفعوا أيديهم اليسرى عاليةً ، فغمغم (سامى) :

— ماذا يفعلون ؟

انفصلت أكُفّ الكهنة ، وهبطت أذرعهم إلى جوارهم ، ثم عاد كل منهم يرفع ذراعيه ويشير بكفّيه إلى النيران ، فنهضت

الفتاة فى بطء وهدوء ، واستدارت تواجه النيران ، ثم سارت نحوها فى بطء وهدوء ، وصعدت فى درجات سُلّم معدنى صغير إلى جوار الإناء النحاسى ، فهتف (أيمن) فى رعب :

ــ يا إلهى !! ماذا ستفعل هذه المجنونة ؟

وفجأة .. اقتحمت الفتاة النيران المخيفة ، فصرخ (سامى) فى ذعر :

ــ ربّاه !!.. إنها تنتحر .

ولكن (عصام) صرخ فى رعب :

ــ كلّا .. كلّا .. انظروا .

اتسعت عيونهم فى ذهول ، وهم يتطلّعون إلى الفتاة ، التى وقفت وسط النيران القوية هادئة ساكنة ، ورفعت رأسها إلى أعلى ، وحركتها فى هدوء ، وكأن النيران القوية ليست إلّا شلالًا من ماء دافئ منعش ..

كان المشهد مفزعًا ، حتى أن (أيمن) غمغم فى صوت مرتجف :

ــ يا إلهى !!.. هذا مستحيل .. مستحيل ..

ظلت الفتاة تستحم فى نهر النيران فى هدوء ، فى حين خفض الرجال الخمسة التابوت الفرعونى أرضًا ، ورفعوا غطاءه ،



اتسعت عيونهم فى ذهول ، وهم يتطلعون إلى الفتاة ، التى وقفت وسط النيران القوية هادئة ساكنة ..

فقفز منه شاب يرتدى زيًا رسميًا حديثًا ، وحاول أن يعدو هاربًا ، ولكن الرجال الخمسة أحاطوا به ، وقادوه فى عنف إلى الإناء النحاسى ، وهو يقاومهم فى شراسة ، فصرخ (عصام) :

— يا إلهى !!.. إنه (أشرف) .

هتف (سامى) فى توتُّر :

— ماذا يفعلون به ؟

جاءته الإجابة على الفور ، فقد حمل الرجال الخمسة (أشرف) عنوة ، وألقوا به وسط النيران ، وعلى العكس مما حدث للفتاة ، اشتعلت النيران فى ملابس (أشرف) ، وتلوَّى جسده فى ألم ورعب ، والجميع يتطلَّعون إليه فى برود وهدوء ، والفتاة تتحرَّك فى سرعة ، وكأنها تستمد مناعتها من جسده المحترق ..

صرخ (سامى) فى جنون :

— يا إلهى !!.. إنهم يحرقونه .

ثم انتزع مسدسه الليزرىّ ، وصاح فى انفعال :

— هيَّا يا رفاق .. سنوقف هذه المذبحة .

اندفع خارج المبنى ، وتبعه (أيمن) حاملًا مسدسه الليزرىّ بدوره ، وانطلقا يعدُوان نحو موكب الرعب ، فى حين ظل (عصام) مسمَّرًا مكانه ، متطلّعًا إلى المشهد المخيف .

استدار الموكب كله نحو الرجلين ، وظل (أشرف) المسكين يقاوم النيران ، التى اشتعلت فى جسده ، والفتاة تتحرَّك فى مزيد من السرعة والانفعال ، وكأنها تكتسب المزيد والمزيد من الجسد المشتعل ، وصرخ (سامى) :

— أسرع يا (أيمن) .. أسرع .. المسكين يحترق .

وفجأة .. رفع الكهنة أيديهم نحو النيران ، وانبعثت صرخة ألم قوية فى المكان ، ثم اختفى الموكب كله فى لحظة واحدة ، وعاد المكان خاليًا ساكنًا .. إلَّا من ضوء القمر والظلال الممتدة ..

تسمَّر (سامى) و (أيمن) فى مكانيهما فى ذهول ورعب ، ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يهتف (أيمن) فى خوف :

— مستحيل .. أهو حلم ؟.. أهو مجرَّد كابوس بشع ؟.

صاح (سامى) :

— كلَّا .. كلَّا .. لقد رأيناه بأعيننا .

ثم عاد يواصل عدوه نحو المكان ، الذى كان فيه الموكب ، وتبعه (أيمن) بعد لحظة من التردُّد ، وفجأة .. توقفا مرة أخرى ، واتسعت عيونهما فى رعب ، ثم أدار (أيمن) وجهه ، وتقيأ فى اشمئزاز وألم ، فى حين هتف (سامى) فى صوت مختنق ، يفيض بالخوف :

— يا إلهى !!.. لقد كان ذلك حقيقيًا .. ها هو ذا جسد (أشرف) محترقًا متفحمًا ..

لم يكن ذهولهما قد تلاشى بعد ، حينما حملت إليهما الرياح صوت صرخة قوية فى المبنى ، الذى غادراه لتوّهما ، فصاح (سامى) :

— (عصام) .. إنه يتعرّض للخطر .

انطلقا يعدُوان إلى حيث المبنى ، وحينما وصلا إليه كان يبدو ساكنًا ، هادئًا ، فهتف (أيمن) فى صوت مرتعد :

— هل نالوا (عصام) أيضًا ؟.. هل ظفروا به ؟

دفع (سامى) باب المبنى ، وقفز داخله ، ثم تراجع ليرتطم بـ(أيمن) ، وهو يهتف فى رعب :

— يا إلهى !!.. يا إلهى !

أزاحه (أيمن) فى حدّة ، وتطلّع بدوره إلى الداخل ، ثم اتسعت عيناه رعبًا وذهولًا ، وغمغم فى ذعر :

— ماذا فعلوا به ؟.. ماذا فعلوا به ؟

مضت لحظة من صمت مرعب ، قبل أن يغمض (سامى) عينيه ، ويقول فى ألم :

— لقد .. لقد حنّطوه .. لقد حوّلوه إلى مومياء فرعونية .

دارت عينا (أيمن) فى مقلتيهما من شدة الذُّعر ، وهو يحدّق فى جسد (عصام) المتخشّب ، الممدّد على أرضية الحجرة ، وكفّاه متعانقتان أمام صدره ، على نفس النحو الذى توجد به المومياوات الفرعونية القديمة ، ثم دارت الحجرة أمام عينيه ، وتهاوى فوق مقعد قريب ، وغطّى وجهه بكفّه ، وهو يغمغم فى ذهول :

— يا لها من ليلة !!.. يا لها من ليلة !!.





٢ ـ أول الحضارات ..

استمع الرائد (نور) فى إصغاء تام ، إلى كل كلمة نطق بها (أيمن) و (سامى) ، حتى انتهيا من حديثهما ، وساد الصمت التام ، ثم قال فى هدوء :

ـ أهذا كل ما حدث بالضبط ؟

أجابه (سامى) فى انفعال :

ـ دون إهمال أية تفاصيل أيها الرائد .

سأله (نور) :

ـ مهما بلغت بساطتها ؟

أجابه (أيمن) فى حزن لم يفارقه بعد :

ـ لقد نقلنا لك كل ما حدث ، بأفضل مما لو نقلته آلة تصوير هولوجرافية أيها الرائد .

عقد (نور) حاجبيه ، وغمغم فى شرود :

ـ هذا عجيب .

ارتجف صوت (سامى) ، وهو يقول :

ـ ونحيف .

ظلّ (نور) عاقدًا حاجبيه لحظة ، وكأنه مستغرق فى تفكير عميق ، ثم عادت ملامحه إلى جمودها ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. يمكنكما الانصراف الآن ، وستولّى المخابرات العلمية الأمر منذ هذه اللحظة .

غادر الحارسان مبنى الحراسة بخطوات ثقيلة ، فى حين التفت (نور) إلى الجندىّ المرافق له ، وقال فى هدوء :

ـ اتركنى وحدى ، وامنع أى مخلوق من الدخول حتى أنتهى .

رفع الجندىّ كفّه بالتحيّة العسكرية ، وانصرف منفذًا الأمر ، وعقد (نور) كفّيه خلف ظهره ، ودارت عيناه فى أرجاء المكان ، ثم عاد يعقد حاجبيه ويغمغم :

ـ هذا عجيب .

ثم سار فى خطوات هادئة نحو النافذة الزجاجية الكبيرة ، ووقف يتطلّع إلى الهرم الأكبر ، وقد بدأ الشروق ، واصطبغت السماء بألوان رائعة ، فى حين ظهر جزء من قرص الشمس الأحمر فى الأفق ، وغمغم (نور) يحادث الهرم الشامخ :

ـ أما زلت تواصل إحاطة نفسك بمزيد من الغموض والأسرار ، يا رمز أول حضارات الأرض ؟

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يحادث نفسه مردفًا :

ـــ ماذا يعنى كل هذا ؟.. موكب فرعونى قديم .. فتاة تستحم فى النيران .. جثة محترقة وأخرى محنطة .. ماذا يعنى هذا المزيج الشيطانى ؟

ثم جذب مقعدًا ، وجلس فوقه أمام النافذة الكبيرة ، وشبك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، واستغرق فى تفكير عميق ، حتى سمع نقرات هادئة على النافذة ، فرفع عينيه إلى مصدرها فى حِدَّة ، وابتسم حينما وقعت عيناه على وجه الدكتور (محمد حجازى) كبير الأطباء الشرعيين فى مصر ، فلوَّح بيده ، وأسرع يستقبله على باب الحجرة ، ويقوده إلى الداخل ، وهو يقول :

ـــ كم تسعدنى رؤيتك يا سيِّدى .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وتثاءب فى قوة ، قبل أن يقول :

ـــ أنا أيضًا تسعدنى رؤيتك يا (نور) ، على الرغم من أنك تهوى انتزاعى من فراشى دائمًا ، فى أمتع لحظات استغراق فى النوم .

بدا الاعتذار فى لهجة (نور) ، وهو يقول :

ـــ إننى لا أفعل ذلك إلا مضطرًا يا سيِّدى .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال وهو يجلس على مقعد قريب :

ـــ حسنًا يا (نور) .. هاتِ ما لديك هذه المرَّة .

شرح له (نور) الأمر فى هدوء ، واستمع إليه الدكتور (حجازى) فى اهتمام وتركيز ، حتى انتهى (نور) ، فتنهَّد الدكتور (حجازى) ، وقال :

ـــ ألا ألتقى بك أبدًا فى قضية عادية يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ لا يمكن أن يحدث هذا يا سيِّدى ، فالأمور العادية يتولَّاها رجال الشُّرطة المدنية عادةً .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه موافقًا ، وقال :

ـــ المطلوب منِّى إذن ـــ حسبما فهمت ـــ أن أقوم بتشريح الجثتين ، وإفادتك بالنتيجة .

أجابه (نور) فى اهتمام :

ـــ بالضبط يا سيِّدى .. إن فكرتى هى أن .....

قاطعه الدكتور (حجازى) بإشارة من يده ، وقال :

ـــ لا تخبرنى بأى شىء ، حتى أنتهى من عملى يا ولدى .. فقد تدفعنى فكرتك إلى اتجاه خاطئ ، دون أن يشعر أحدنا .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ أنت محق يا سيّدى .

نهض الدكتور (حجازى) وتحرّك نحو باب الحجرة ، ثم توقّف ، واستدار إلى (نور) .

وسأله فى اهتمام :

ـــ هل طلبت استدعاء فريقك كله يا (نور) ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وأجاب فى هدوء :

ـــ لن يتأتى ذلك هذه المرّة يا سيّدى .. فـ (محمود) يحضر الآن مؤتمرًا عالميًا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، سيقدّم فيه بحثًا جديدًا فى علم الأشعة ، و (رمزى) يلقى بعض محاضرات الطب النفسى فى جامعة (طوكيو) .

سأله الدكتور (حجازى) :

ـــ وماذا عن (سلوى) ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ ستكون هى فريقى كله يا سيّدى هذه المرّة .

لم يكد الدكتور (حجازى) يفتح باب الحجرة ، حتى طالعه وجه (سلوى) الباسم ، فضحك وهو يقول :

ـــ حسنًا يا (نور) .. ها هوذا فريقك كله قد وصل .

* * *

استمعت (سلوى) إلى القصة من بين شفتى (نور) ، وهى ترتجف فى خوف ، ولم يكد ينتهى حتى قالت فى قلق :

ـــ هذا أعجب ما سمعت فى حياتى كلها يا (نور) .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ لكل شىء تفسيره يا (سلوى) ، مهما بدا شديد الغرابة والغموض .

صمتت لحظة ، ثم قالت فى حدّة :

ـــ ألا تؤمن أبدًا بالظواهر فوق الطبيعة يا (نور) ؟

ابتسم ، وأجابها فى هدوء :

ـــ بل أومن بوجودها تمامًا يا عزيزتى ، ولكننى أرفض جعلها التفسير الوحيد لكل ما يواجهنا من غموض ، حتى تفشل كل التفسيرات الأخرى .

قالت فى اهتمام :

ـــ هل تعلم أنه ذات يوم فى أول القرن العشرين ، رأت سيّدتان موكب الملكة (مارى أنطوانيت) الفرنسية ، التى أعدمت فى القرن الثامن عشر ، وأنهما اندمجتا فى الموكب تمامًا ، حتى أنهما شعرتا بكل ما كانت تشعر به الملكة نفسها(*) .

* حقيقة واقعية ، وقد حدث هذا عام ١٩٠١ ، وكانت الفتاتان إنجليزيتين ، إحداهما مدرسة تاريخ فى جامعة لندن ، والثانية تخصصت فى اللغة الفرنسية ، والواقعة مسجلة تاريخيًا .

هزّ (نور) كتفيه ، وأجاب فى هدوء :

ــ لقد قرأت عن هذه الظاهرة يا عزيزتى ، ولكننى أذكرك بأن هذه الواقعة التى تستشهدين بها لم تسفر أبدًا عن جثث محترقة ، أو محنّطة .

عقدت حاجبيها فى حَيْرة ، وهى تقول :

ــ ماذا يدور فى رأسك إذن ؟

صمت (نور) لحظة ثم أجاب :

ــ هل تعرفين السبب الحقيقى لإغلاق منطقة الأهرامات يا (سلوى) ؟

أجابته وقد بدأ فضولها يحتلّ مكانًا بارزًا فى صوتها :

ــ يقولون إنه زلزال ١٩٩٩

هزّ رأسه نفيًا ، وأجاب :

ــ هذا ما أُعلن رسميًا يا عزيزتى ، ولكن الحقيقة تختلف .

صمت لحظة أخرى ، فجّرت فضولها كله ، قبل أن يقول :

ــ منذ بداية السبعينات من القرن العشرين ، دأبت جماعة دينية مجهولة من الأوروبيين والأمريكيين على زيارة أهرامات الجيزة فى موعد ثابت ، وإقامة شعائر عقائدية وثنية عجيبة أمامه(*) ..

* المعلومة من أول الحديث وحتى ظهور نجمة التعريف حقيقة واقعية ، وقد نشرتها الصحف المصرية فى حينها .

ومع مرور الوقت تضاعفت أعداد هذه الجماعة ، واتخذت شعائرها صورة عنيفة عام ألف وتسعمائة وتسعين .. وهنا تنبّهت الدولة إلى خطورتها ، ومنعت دخول أفراد الجماعة إلى مصر ، ومنعت شعائرهم الوثنية تمامًا ، ولكنهم كانوا يرسلون بأفراد آخرين فى الموعد نفسه ، فيشعلون النيران ، ويهدّدون حياة السائحين الآخرين بالخطر .. وهنا اضطرت الحكومة إلى حظر دخول منطقة الأهرامات ، وخاصةً بعد أن تعرّضت المنطقة كلها للخطر بفعل زلزال ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين .

سألته (سلوى) فى انفعال :

ــ إذن فقد كان الزلزال مجرّد مبرّر لمنع دخول هذه الجماعة .

أومأ برأسه إيجابًا ، فهتفت فى فضول :

ــ وما موعد تلك الجماعة يا (نور) ؟.. أعنى متى كانوا يجتمعون لممارسة شعائرهم من كل عام ؟

ساد الصمت لحظة ، ثم أجابها فى عمق :

ــ فى الخامس من يناير يا عزيزتى .. نفس الموعد الذى حدثت فيه أحداث أمس الغامضة .

* * *

٣ ــ وازداد الغموض ..

أشارت أرقام الساعة الذرّية فى مكتب (نور) ، بإدارة المخابرات العلمية المصرية ، إلى تمام العاشرة والنصف صباحًا ، عندما دخل الدكتور (حجازى) إلى المكتب ، وقال :

ــ لقد انتهيت من عملى يا (نور) .

ارتجف جسد (سلوى) من شدّة الفضول ، فى حين سأله (نور) فى اهتمام شديد :

ــ وماذا وجدت يا دكتور (حجازى) ؟

جلس الدكتور (حجازى) فى هدوء وقال :

ــ أسمعنى نظريتك أولًا يا (نور) ، وسأرى ما إذا كانت تتطابق مع ما توصّلت إليه ، أم تتعارض معه .

عقد (نور) حاجبيه فى ضيق ، قبل أن يقول :

ــ نظريتى ليست معقّدة يا سيّدى .

ثم أردف فى انفعال :

ــ إننى أظن كل هذا مجرّد خدعة ، أُعِدّت فى مهارة

وحنكة بالغتين ، فما رآه الحراس الثلاثة ، لم يكن إلّا نوعًا من الخداع البصرىّ الهولوجرامى ، أُعِدّ فى عناية ، بحيث جذب انتباههم تمامًا ، وفى نفس الوقت تركت جثة محترقة فى المكان .. وعندما هرع الحارسان (أيمن) و (سامى) إليــه ، تم اختطاف زميلهما (عصام) ، ووضعت مكانه جثة محنّطة و ....

قاطعه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ــ أخطأت يا ولدى .

وصل فضول (سلوى) إلى ذروته ، فى حين غمغم (نور) فى ضيق ، وهو يعقد حاجبيه فى قوة :

ــ ماذا تعنى يا سيّدى ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ــ ينبغى أن تعلم أن الجثتين اللتين تم العثور عليهما ، هما جثتا (أشرف) و (عصام) بالفعل .. ولقد تعرّض الأول لاحتراق مميت ، بلغت نسبته تسعون فى المائة ، أما الثانى فقد تم تحنيطه بالوسيلة نفسها ، التى اتبعها قدماء المصريين .. فقد انتزعت أحشاؤه ، وتم سحب مخه من التجويف الأنفى ، و ....

قاطعه (نور) فى حِدّة :

ـــ ولكن هذا مستحيل يا سيِّدى .. فتحنيط جثة بمثل هذا الأسلوب ، يحتاج إلى وقت طويل ، حتى باستخدام أحدث الوسائل الممكنة ، والوقت الذى مضى ما بين سماع الحارسين صرخة زميلهما ، ووصولهما إليه لا يزيد على دقيقة ونصف الدقيقة .

هزَّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

ـــ هذا لا يعنينى يا (نور) ، كل ما يمكننى قوله هو أن الجثة المحنَّطة هى جثة (عصام) ، بما لا يقبل الشك .. فقد فحصتها فى عناية ، وراجعت نتائج الفحص ببطاقته الصحية ، وحرصت على مراجعة كل شىء بدقة بالغة .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يغمغم :

ـــ ولكن هذا يزيد الأمر غموضًا وتعقيدًا .

تمتم الدكتور (حجازى) :

ـــ وربما قادك إلى تفسير جديد .

ظهر التفكير العميق على وجه (نور) ، فى حين غمغمت (سلوى) فى صوت مرتجف :

ـــ لن يدهشنى فى الواقع أن من نجحوا فى جعل فتاة تستحم فى اللهب ، يمكنهم أن يهزموا مقياس الزمن .

غمغم (نور) فى ضيق :

ـــ كفى خزعبلات يا (سلوى) .

ظهر الغضب على وجهها ، وقال الدكتور (حجازى) :

ـــ هل تريد رأيى يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى صدق :

ـــ بلا شك يا دكتور (حجازى) .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم أجاب :

ـــ أنت تحتاج فى الواقع إلى عالم آثار .

حدَّق (نور) فى وجهه لحظة ، ثم قال :

ـــ أعتقد أنك على حقٍّ يا سيِّدى .

ثم اتجه إلى جهاز الكمبيوتر الخاص به ، وقال وهو يداعب أزراره بأنامله فى مهارة :

ـــ سنبحث عن أكثر العلماء نفعًا لنا .

ارتسمت قوائم مرتبة على شاشة الكمبيوتر ، وبدأت الأسماء الواردة فيها تتناقص فى سرعة كبيرة ، حتى لم يعُد هناك سوى اسم واحد ، فعقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة :

ـــ عجبًا !!.. هذا ما نحتاج إليه بالضبط .

سألته (سلوى) فى فضول :

— ماذا تعنى يا (نور) ؟

التفت إليها وهو يقول :

— لقد عثرت على ضالتنا ، على نحو يدعو للدهشة يا عزيزتى .. عثرت على عالم آثار يدعى (زهير فايد) .

صمت لحظة ، ثم أردف فى لهجة جادة ، ذات مغزى :

— إنه متخصص فى دراسة أسرار الهرم الأكبر ، وبالذات فى الديانات الوثنية ، التى تتعلق به .

اتسعت عينا (سلوى) دهشةً ، فى حين هتف الدكتور (حجازى) فى اهتمام وانفعال :

— نعم يا (نور) .. هذا هو رجلنا .

* * *

وقف الدكتور (زهير فايد) ، عالم الآثار المصرى ، يتطلع إلى (نور) و (سلوى) والدكتور (حجازى) بعينيه الخضراوين فى برود ، وقد فرد قامته الفارهة ، وقوامه الممشوق ، والتمعت صلعته التى تمتد إلى منتصف رأسه ، وبدا حاجباه الكثيفان السوداوان منعقدين فى تركيز ، فى حين لم تنم أى من خلجات وجهه الحليق ، وأنفه الكبير ، وفمه الصارم عن انفعاله ، وهو يسأل فى هدوء :

— ولماذا تحتاج المخابرات العلمية إلى خدماتى أيها الرائد ؟

أجابه (نور) فى هدوء مماثل :

— لدينا قضية غامضة ، تحتاج إلى دراساتك حول العقائد المتعلقة بالهرم الأكبر يا سيدى .

بدا الاهتمام على وجهه ، وهو يسأل :

— قضية غامضة ؟!.. ماذا تعنى ؟

قصَّ (نور) كل ما حدث على مسامع الدكتور (زهير) ، الذى استمع فى اهتمام ودهشة ، وهو يدخن غليونه ، حتى انتهى (نور) من قصته .. فهزَّ الدكتور (زهير) رأسه ، وغمغم :

— إذن فقد عادت هذه الشعائر للظهور .

تملَّكت الدهشة أفراد الفريق الثلاثة ، وسأل (نور) فى اهتمام :

— أيّة شعائر هذه يا سيّدى ؟

أجابه الدكتور (زهير) فى هدوء عجيب :

— شعائر مملكة النار يا فتى .

هتفت (سلوى) فى دهشة :

— مملكة النار ؟!

أومأ الدكتور (زهير) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم يا سيدتى .. إنه مصطلح قديم ، أطلق على فئة من كهنة قدماء المصريين ، تقول الأساطير إنهم كانوا يتحكَّمون فى النار .

غمغم الدكتور (حجازى) فى حيْرة :

ـــ عجبًا !!.. إننى لم أسمع أبدًا عن مملكة النار هذه !

ابتسم الدكتور (زهير) ، ونفث دخان غليونه وهو يقول :

ـــ من النادر أن يلمّ غير المتخصصين بكل ما يتعلَّق بالحضارة المصرية القديمة أيها الطبيب ، بل إنه من العسير أن يلم المتخصِّص فى دراسة هذه الحضارة بكل جوانبها ؛ لذا تجد كلًّا من علماء الآثار يُولى اهتمامه لجانب محدود من جوانب هذه المرحلة التاريخية الرائعة و .....

قاطعه (نور) فى اهتمام :

ـــ حسنًا يا دكتور (زهير) ، ما معلوماتك عن مملكة النار هذه ؟

تنحنح الدكتور (زهير) ، وقال :

ـــ ينبغى أن تعلموا أولا ، أن الأبحاث الحديثة تؤكد أن قدماء المصريين قد نجحوا فى كشف ما نطلق عليه اليوم اسم (مانعة الصواعق)(*) .. وأنهم بوسيلة ما تمكَّنوا من امتصاص

(*) حقيقة واقعية .

الصواعق ، والاحتفاظ بطاقتها القوية ، وهذه كانت خطوتهم الأولى للتحكُّم فى النيران .

مطَّ شفتيه قبل أن يستطرد :

ـــ ومن المؤسف أن كهنة قدماء المصريين ، كانوا يحتفظون بكل هذه الأسرار لأنفسهم ، حتى يضمنوا السيطرة الكاملة على الشعب .. ولقد قادتهم معارفهم الغزيرة ، التى لم نتوصَّل إلى ربعها بعد ، إلى السيطرة على أعظم قوى الطبيعة .. على النار .

غمغم (نور) فى عناد :

ـــ لست أصدق هذا .

ابتسم الدكتور (زهير) فى سخرية ، وقال وكأنه لم يستمع إلى تعليق (نور) :

ـــ وكانت لهم شعائرهم الخاصة فى دياناتهم الماجوسية السريّة ، وهذه الشعائر تعتمد على التضحية بغريب وسط النيران ، التى يعبدونها فى وثنية ، وكانت هذه الشعائر تتم عند قاعدة أكبر مانعة للصواعق فى عصرهم .

ثم أردف فى لهجة عميقة ، أثارت الرجفة فى أوصال الجميع :

ـــ عند قاعدة الهرم الأكبر .. هرم خوفو .

* * *

٤ ـ أسرار الهرم الأكبر ..

ساد صمت مشوب بالدهشة ، بعد أن نطق الدكتور (زهير) بتصريحه ، حتى هتفت (سلوى) :

ـ الهرم الأكبر مانعة صواعق ؟!

فى حين قال الدكتور (حجازى) فى انفعال :

ـ حذار مما تقول يادكتور (زهير) .. فلا أحد أمكنه الجزم بهذا بعد .

لوّح الدكتور (زهير) بذراعيه ، وقال فى انفعال مماثل :

ـ ومن أمكنه الجزم بأى شىء يتعلّق بهذا الصرح الشامخ ؟

واندفعت الكلمات من بين شفتيه كالحمم ، وهو يقول :

ـ الهرم الأكبر أيها السادة هو أعظم لغز واجه البشرية منذ مطلع الحضارة .. لقد ادّعى الكثيرون أنه مجرّد مقبرة فاخرة لملك واحد ، وهو (خوفو) ، ولكننى أرى هذا مدعاة للسخرية .. لقد تم بناء الهرم الأكبر لغرض أعظم وأسمى .. هل ظننتم أن مئات الآلاف من العمال قد عملوا ليل نهار ، لبناء

مجرّد مقبرة ؟!.. هل من المصادفة أن يكون ارتفاع هرم (خوفو) مضروبًا بمليار يساوى (١٤٩٦٧٠٠٠٠) كم ، وهى المسافة نفسها بين الأرض والشمس ؟.. وهل من المصادفة أن المدار الذى يمر من مركز الهرم ، يقسم القارات والمحيطات إلى نصفين متساويين تمامًا ؟.. وهل جاء بمحض الصُدفة أن أساس الهرم ، مقسومًا على ضعف ارتفاعه يعطينا عدد لودولف الشهير (٣,١٤١٦) ، والمعروف بالرمز (ط) فى حساب المثلثات ؟.. هل تصدّقون أن الصُدفة وحدها جعلت أركان الهرم الأربعة تتجه إلى الاتجاهات الأصلية الأربعة ، فى دقة مذهلة جعلتنا نعدّل حساباتنا فى منتصف القرن العشرين(*) ؟

ثم ابتسم فى تخابث ، وهو يردف :

ـ وهل تصدّقون أن (خوفو) هو صاحب الهرم الأكبر ؟

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـ إنك تتمادى كثيرًا يا دكتور (زهير) .. إنك تهدم الصرح من أساسه .

صاح الدكتور (زهير) فى حدّة :

(*) كل ما جاء ذكره فى حديث الدكتور (زهير) حقائق علمية مؤكدة .

ــ لست أنا من يفعل ذلك يا دكتور (حجازى) ، هناك فى مكتبة (أكسفورد) مخطوطة أثرية ، يؤكد بها الكاتب القديم (المسعودى) أن الهرم الأكبر قد تم تشييده فى عصر الملك المصرى (سوريد) ، أى قبل طوفان (نوح) نفسه(*)

ظلّ (نور) صامتًا ، عاقدًا حاجبيه ، يتأمل الدكتور (زهير) فى اهتمام شديد ، فى حين كانت (سلوى) تتطلّع إليه فى ذهول ، وبدا الدكتور (حجازى) مرتبكًا ، وهو يقول :

ــ ماذا تريد أن تقول يا دكتور (زهير) ؟

تألقت عينا الدكتور (زهير) على نحو عجيب ، وهو يقول :

ــ هل تصدّق أنت أن مليونين وستمائة ألف كتلة صخرية ضخمة ، قد تم قطعها من المحاجر ، ونحتها ونقلها إلى مكان البناء فى دقة مذهلة تفوق الوصف ، فى عصر رجل واحد ؟.. لو أن بُناة الهرم الأكبر قد استخدموا أعظم تقنية ممكنة فى عصرهم ، وأنشط عمل يتصوّره العقل ، لانتهوا من بناء مثل هذا الصرح فى ستمائة وأربع وستين سنة .. فهل تظن أن (خوفو) قد عاش كل هذه السنوات ؟.. ثم هل تصدّق أن العلاقات

(*) هذا المخطوط موجود بالفعل فى مكتبة (أكسفورد) .

العددية بين الهرم وكرتنا الأرضية ، والتى أوردها (تشارلز بيازى سميث) فى كتابه الشهير (ميراثنا فى الهرم الأكبر)(*) ، والتى تصل فى حدّ ذاتها إلى عدد مذهل من العلاقات المتناسقة القوية ، قد نشأت كلها بمحض الصُدفة ؟

سأله الدكتور (حجازى) فى عصبيّة :

ــ ما الذى تريد أن تصل إليه ؟

ازداد تألق عينى الدكتور (زهير) على نحو مخيف ، وهو يجيب فى هدوء :

ــ أريد أن أصل إلى أن (خوفو) ليس صاحب الهرم الأكبر ، وإنما هو من استولى عليه ، وزيّف التاريخ لحسابه ، ليضيف إلى أمجاده مجدًا وهميًا ، ويضع أمامنا لغزًا تستغلق علينا مفاهيمه لقرون وقرون .

ثم أردف فى صوت عميق :

ــ ولكن الهرم الأكبر كان هناك ، من قبل أن يولد (خوفو) ، بل ومن قبل أن تنشأ حضارته كلها .

تكلّم (نور) هذه المرة ، وقال فى هدوء :

ــ وإلى ماذا يقودنا هذا ؟

(*) وضع (تشارلز بيازى سميث) هذا الكتاب عام ١٨٦٤م .

التفت إليه الدكتور (زهير) فى حِدّة ، وقال :

ــ يقودنا إلى أنه ربما كان هذا الهرم رمزًا دينيًا بالفعل .. رمزًا لدين مازال عبدته ينتشرون فى الأرض حتى الآن ..

ثم استطرد فى عمق عجيب :

ــ رمزًا لمملكة النار .

* * *

ــ إنه مجنون .. لا ريب أنه مجنون .

نطقت (سلوى) بهذه العبارة ، وهى تجلس إلى جوار (نور) فى سيارته ، عائدةً إلى منطقة الهرم ، فأجابها الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ــ أخالفك الرأى يا بنيّتى .. فكل الحقائق التى ذكرها علمية بحتة ، وربما اختلف الأمر بالنسبة لاستنتاجاته حولها .

قال (نور) فى هدوء :

ــ وربما كان يعرف أكثر مما يقول يا سيّدى .

صاحت (سلوى) فى حنق :

ــ ولكن لماذا رفض التعاون معنا إذن ؟

أجابها (نور) :

ــ إنه لم يرفض تمامًا يا (سلوى) ، ولكنه طلب مهلة لدراسة الأمر ، قبل أن يدلى بموافقته ، وهذا حقّه .

ساد الصمت لحظة ، ثم قالت (سلوى) بصوت مرتجف :

ــ هل تعلم أن كلامه مازال يخيفنى يا (نور) ؟

أجابها (نور) ، وهو يميل بسيارته فى منحنى جانبى :

ــ إنه على العكس ، يدفعنى للتفكير فى عمق يا عزيزتى و ....

وفجأة .. بتر عبارته ، وصاح فى دهشة ، وهو يضغط (فرامل) سيارته فى قوة :

ــ يا إلهى !!.. ماهذا العبث ؟

اتسعت عيون (سلوى) والدكتور (حجازى) فى ذهول ، وهما يتطلّعان إلى المشهد الذى دفعه إلى هذا القول ..

فأمام السيارة .. وعلى بعد أمتار قليلة منها ، وقف خمسةٌ من الرجال فى ملابس كهنة قدماء المصريين ، وأمامهم إناء صغير من النحاس ، اشتعلت النيران فى منتصفه .

* * *

٥ ــ موت من الماضى ..

ظلّ الموقف ساكنًا لحظة ، وكأنما توقّفت عقارب الزمن عن الدوران ، ثم فتح (نور) باب سيارته فى حِدّة ، وقال :

ــ لقد جرؤ هؤلاء الأراجوزات على تحدّينا ، وسأضطر لتلقينهم درسًا .

هتفت (سلوى) فى خوف :

ــ كلّا يا (نور) .. إنهم .....

ضاعت عبارتها فى الهواء ، فقد كان (نور) قد غادر السيارة بالفعل ، واتجه نحو الكهنة الخمسة فى خطوات هادئة ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. أى عبث تنشدون خلف هذه المسرحية السخيفة .

ظل الكهنة الخمسة على صمتهم ، وعيونهم الباردة تتطلّع إلى (نور) ، فواصل هو تقدّمه نحوهم ، وهو يستطرد فى حِدّة :

ــ هل أصابكم الصَمَم أيها الأوغاد ؟

لم يهتزّ رمش واحد فى عيون الكهنة الخمسة ، و (نور) يواصل تقدّمه نحوهم ، فى حين فتح الدكتور (حجازى) باب السيارة المجاور له ، وقفز منها ، قائلًا فى توتُّر :

ــ يا إلهى !!.. هذا الوضع لا يوحى بالارتياح .

كان (نور) قد أصبح على بعد متر واحد من الإناء النحاسىّ الصغير ، الذى يتوسّط الكهنة الخمسة .. فتوقّف ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وقال فى حزم وصرامة :

ــ حسنًا .. انتهت اللُعبة .. أنتم جميعًا مقبوض عليكم بتهمة الـ .....

بترت (سلوى) عبارته ، عندما صرخت فى رعب :

ــ احترس يا (نور) .

التفت (نور) فى سرعة ، ورأى عشرة رجال فى ثياب فرعونية ، يندفعون نحوه فى شراسة ، وسمع فى الوقت ذاته صوت الدكتور (حجازى) ، يهتف فى جزع :

ــ أيها الأوغاد .

غاص (نور) إلى أسفل فى سرعة ، متفاديًا لكمة أحد الرجال العشرة ، ثم انتصب موجّهًا قبضته إلى فكّ هذا الأخير ، فى لكمة قوية ، ثم دار على عقبيه ، ولكم ثانيًا فى أسنانه مباشرة ،

ومال جانبًا ، لينجو من لكمة ثالث ، ثم أجابه بلكمة هشّمت أنفه ..

ارتفع فجأة صراخ (سلوى) ، فاستدار إليها (نور) فى جزع ، ورأى ثلاثة رجال يحاولون انتزاعها عنوة من السيارة ، فانتزع مسدسه الليزرىّ ، وهو يهتف فى غضب :

ـــ اتركوها أيها الكلاب .

وفجأة .. هوَت على رأسه ضربة قوية ، ومادت به الأرض ، فتماسك فى صلابة مذهلة ، وقاوم الدُّوار الذى أصاب رأسه فى إصرار عجيب ، وهو يعاود تصويب مسدسه إلى الرجال الثلاثة ، الذين نجحوا فى انتزاع (سلوى) من السيارة ، وخرجت الكلمات من بين شفتيه غاضبة ، مرتعدة ، ضعيفة ، وهو يقول :

ـــ اتركوها .. اتركوها أو ....

ارتجّت رأسه بضربة ثانية ، واهتزّ أمام عينيه مشهد الدكتور (حجازى) ، وهو يقاتل رجلين فى بأسه ، ثم أظلمت الدنيا أمامه ، وغاب فى غيبوبة عميقة ..

* * *

سار (نور) فى زىّ فرعونى قديم ، فى ذلك الطريق المعروف باسم (طريق الكباش) فى معبد الكرنك بمدينة (الأقصر) ..

عشرات من الكهنة يحيطون به ..

المعبد يزدحم بآلاف من المصريين القدماء ..

على عرش ضخم من الذهب ، فى نهاية طريق الكباش ، جلس رجل يرتدى زىّ ملوك الفراعنة ، وأمامه حفرة عميقة ، تندلع منها ألسنة اللّهب ..

حاول (نور) أن يقاوم ، ولكن ذراعيه كانتا ثقيلتين ، وقدماه كأنهما مثبّتان فى الأرض ..

قاوم .. وقاوم .. وقاوم ..

الحفرة العميقة تزداد اتساعًا ، والنيران تزداد تأجّجًا ..

المعبد كله تحوّل إلى أتون من النار ، والكهنة يدفعون (نور) إلى الحفرة ..

وسقط .. سقط جسده وسط النيران المستعرة ..

واستيقظ من غيبوبته ..

استيقظ وجسده كله يرتجف ، إثر الكابوس المرعب الذى راوده ، وشعر بأجفانه ثقيلة ، فأغلق عينيه فى قوة ، وعاد يفتحهما فى صعوبة .. ولم يكد يبصر ما حوله ، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما ، وغمغم فى دهشة :

ـــ يا إلهى !!..



فى نهاية طريق الكباش ، جلس رجل يرتدى زى ملوك الفراعنة ، وأمامه حفرة عميقة ، تندلع منها ألسنة اللهب ..

كان يستلقى فى ركن بهو بالغ الضخامة ، يشبه بأعمدته المخروطية معابد قدماء المصريين القدامى ، وفى نهايته وعاء نحاسى ضخم ، يشبه ذلك الذى أسهب حارسا منطقة الأهرامات فى وصفه ، ووسطه أيضًا استعرت النيران ، وصنعت بأضوائها المتراقصة مشهدًا مخيفًا ، وهى تلقى بظلال راقصة على وجوه الكهنة الخمسة الذين أحاطوا بالوعاء النحاسى .. فى حين وقف الرجال العشرة ، الذين يرتدون الأزياء المصرية القديمة صفًا واحدًا ، على بعد ثلاثة أمتار منهم ، وظهورهم إلى (نور) ، الذى غمغم فى دهشة متزايدة :

ــ ما هذا بحق السماء ؟

هتف صوت واهن مرتجف إلى جواره :

ــ حمدًا لله .. هل استيقظت أخيرًا يا (نور) ؟

استدار إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ، وعقد حاجبيه فى تساؤل ..

كانت أمامه ، وسط الظلال المتراقصة ، فتاة ترتدى زى نساء قدماء المصريين ، وحول جيدها قلادة ذهبية ضخمة ، ازدانت بنقوش فرعونية متناسقة .. وإلى جوار الفتاة استلقى رجل يرتدى زيًا قديمًا ، وعلى صدره نقش مفتاح الحياة ، ذلك الرمز الفرعونى القديم ..

مضت لحظة قبل أن يتبيَّن (نور) فى الفتاة زوجته (سلوى) ، وفى الرجل أستاذه الدكتور (حجازى) ، فغمغم فى دهشة :

ــ أين نحن ؟.. ولماذا ترتديان هذه الثياب العجيبة ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى ألم :

ــ لسنا ندرى أين نحن يا (نور) .. لقد عصبوا عيوننا وهم ينقلوننا إلى هنا ، وأنت أيضًا ترتدى هذا الزىّ الفرعونى القديم .

تنبَّه (نور) إلى أنه يرتدى الثياب القديمة نفسها ، فعاد يعقد حاجبيه مغمغمًا :

ــ ماذا يريدون منَّا ؟.. إنهم حتى لم يحاولوا تقييدنا .

ارتفع فجأة صوت الكهنة الخمسة ، بترانيم عجيبة ، وبلغة لم يفهمها الثلاثة ، وإن جذب الموقف انتباههم تمامًا ، حتى انخفضت التراتيل ، واستدار الرجال العشرة دفعة واحدة نحو أبطالنا ، وتحرّكوا نحوهم فى بطء مخيف ، فهتفت (سلوى) فى رعب :

ــ ماذا يريدون ؟

انقبضت عضلات (نور) فى تحفُّز ، وهو يقول :

ــ أعتقد أننا لن نستغرق طويلًا لمعرفة ذلك يا (سلوى) .

اقترب الرجال العشرة ، حتى صاروا على بعد متر واحد

من أفراد الفريق الثلاثة ، وتوقَّفوا وكأنهم تماثيل منحوتة فى الثلج ، ومضت دقيقة كاملة من التوتُّر ، قبل أن يقول (نور) فى عصبيَّة :

ــ متى تنتهى هذه التمثيلية ؟

وكأنما كانت عبارته هى إشارة البدء ، فقد انفصل ثلاثة رجال فجأة ، وانقضُّوا على (نور) ، وكبَّلوا حركته قبل أن ينجح فى مقاومتهم ، وفى الوقت نفسه انقضَّ ثلاثة آخرون على الدكتور (حجازى) ، وفعلوا به المثل ، فى حين أحاط الأربعة الآخرون بـ (سلوى) ، التى ارتجف صوتها رعبًا ، وهى تقول :

ــ ماذا تريدون ؟

أمسك رجلان بساعديها فى هدوء ، وتقدَّمها الآخران ، فى حين أجبرها من يمسكان بها على التحرُّك نحو النار المستعرة فى الإناء النحاسىّ الضخم ..

وألجم الخوف (سلوى) ، فسارت معهم فى استسلام ، فى حين وقف (نور) والدكتور (حجازى) يتابعان الموقف فى مزيج من الدهشة والحَيْرة ، حتى وصلت (سلوى) بموكبها الصغير إلى حيث يقف الكهنة الخمسة ، فأجبرها الرجلان اللذان يمسكان بها على الركوع أمام الكهنة ، الذين شكَّوا

أصابع أكفهم اليمنى فوق رأسها ، وارتفعت أيديهم اليسرى عالية ، وشحب وجه (سلوى) ، وهى تستعيد تفاصيل ماذكره حارسا منطقة الأهرام ، فى حين غمغم (نور) فى ذُعر :

ـ يا إلهى !! .. سيلقونها للنيران .

لم يكد يتم عبارته ، حتى كان الكهنة الخمسة يشيرون إلى النيران المستعرة فى الإناء النحاسى ، وصرخت (سلوى) فى رعب قاتل ، عندما حملها الرجال الأربعة إليها ، واتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى ذهول ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !! .. يا إلهى !!

وتأججت ألسنة اللهب فى القِدر النحاسية المخيفة ...

* * *





وصرخت (سلوى) فى رعب قاتل ، عندما حملها الرجال الأربعة إليها ..

٦ ـــ نيران الغضب ..

ظلام دامس عميق يحيط بكل شىء ..

لا قمر .. لا نجوم .. لا ضوء على الإطلاق ..

ظلام مخيف .. مخيف بلا نهاية ..

وفجأة .. برزت نقطة مضيئة وسط هذا الظلام ..

نقطة سطعت بغتة ، كشمس صغيرة ، واتسعت بسرعة ، وتسللت عبْر الظلام ، فتلاشى وتراجع ، حتى ملأ الضوء مساحة الرُّؤية كلها ..

واستيقظ (نور) ..

فتح عينيه بغتة ، فاختفى الضوء ، وعادت الظُّلمة تشمل كل شىء ، ولكنها كانت هذه المرّة ظُلمة تحوى قمرًا ونجومًا وسحبًا ..

تطلَّع (نور) فى دهشة إلى السماء ، وتضاعفت دهشته حينما كشف أنه يجلس أمام مقود سيارته ، فتلفَّت حوله فى حِدّة ، وتسمَّرت عيناه عند (سلوى) ، التى استرخت فى المقعد المجاور له فاقدة الوعى ..

لم تكن ترتدى ذلك الزىّ المصرىّ القديم ، الذى رآها فيه آخر مرّة ، بل كانت ترتدى ثيابها العادية ، وعلى المقعد الخلفىّ أيضًا كان الدكتور (حجازى) فاقد الوعى ، وهو يرتدى حُلّته ..

ترك (نور) رأسه يسقط على مسند مقعده ، وحدّق فى المكان ، عبْر زجاج سيارته ، فى ذهول ..

ماذا حدث ؟!..

أهو كابوس بشع ، راوده بغتة ؟

كانت السيارة تقف فى نفس المكان ، الذى واجهت فيه الكهنة الخمسة ، ولكن المكان كان يبدو فى هذه اللحظة صامتًا ، ساكنًا ، هادئًا ..

كان مستغرقًا فى دهشته وأفكاره ، حينما ندت آهة ألم من بين شفتى الدكتور (حجازى) ورآه (نور) ينهض ممسكًا برأسه فى ألم ، وسمعه يغمغم :

ـــ ماذا حدث ؟.. أين نحن ؟.

ربَّت (نور) على كتفه ، وقال :

ـــ نحن فى السيارة يا سيِّدى .. كل شىء هادئ .

تطلَّع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وتلفَّت حوله

في حَيْرة ، وكأنه يريد التأكُّد من وجودهم داخل السيارة ، ثم غمغم في توتُّر :

— كيف وصلنا إلى هنا ؟.. لقد .. لقد ....

ثم اتسعت عيناه ، وهو يسأل (نور) في حَيْرة :

— هل فقدت الوعي وحدى أم ...؟

لم يتم عبارته ، ولكن (نور) شعر بحَيْرته ، وفهم مغزى تساؤله ، فأجابه في هدوء :

— لقد فقدنا الوعي جميعًا يا سيِّدى .

حدَّق الدكتور (حجازى) في جسد (سلوى) ، ثم تشبَّث بذراع (نور) ، وهتف في صوت متحشرج :

— هل .. هل هي بخير ؟

أجابه (نور) في هدوء :

— نعم يا سيِّدى .. كلنا بخير .. اطمئن .

تراخت أصابع الدكتور (حجازى) ، المتشبِّثة بذراع (نور) ، واستند بظهره إلى مقعده ، وأغلق عينيه في ألم ، وهو يغمغم :

— لقد كان كابوسًا هائلاً يا (نور) .. كان هناك كهنة ، ومعبد فرعونى قديم ، ونيران متأجِّجة في قِدر نحاسية ضخمة .

وعاد يفتح عينيه في ذعر ، وهو يستطرد :

— وكانوا سيلقون (سلوى) وسط النيران .

عقد (نور) حاجبيه ، وغمغم في توتُّر :

— يا إلهي !!.. إذن فهذه حقيقة .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) في رُعب ، وتمتم في صوت مختنق :

— حقيقة ؟!

رفع (نور) كفّه ، وتحسَّس كدمة مؤلمة في مؤخرة رأسه ، ثم غمغم في غضب :

— نعم يا دكتور (حجازى) .. لقد كان ما رأيناه حقيقة .

* * *

استيقظ عقل (سلوى) في بطء ، وشعرت — أول ما شعرت — بجسدها ممدَّدًا فوق فراش وثير ، وخيِّل إليها أنها تسمع أصواتًا متداخلة ، عسيرة التمييز ، ثم لم تلبث الأصوات أن تحوَّلت إلى كلمات مفهومة ، وميَّزت (سلوى) صوت الدكتور (حجازى) يقول :

— آخر ما أذكره أنهم كانوا يهمّون بإلقاء (سلوى) في أتون النيران .. وأنها أطلقت صرخة رُعب هائلة ، جعلتك تتحوَّل

إلى وحش كاسر يا (نور) ، فتخلصت فى عنف من الرجال الثلاثة ، الذين يقيدونك .. ورأيتك تلكم أحدهم لكمة ساحقة ، هشمت فمه ، وتحطم أنف الثانى بأخرى كالقنبلة ، ثم تكسر عنق الثالث فى حدة ، قبل أن تندفع نحو أتون النيران ، وأنت تصرخ باسم (سلوى) .. وحاولت أنا معاونتك ، ولكننى تلقيت ضربة قوية أفقدتنى الوعى ، واستيقظت لأجد نفسى فى السيارة .

غمغم (نور) فى شرود :

ـــ هذا ما أذكره أنا أيضًا ، ويبدو أن أحدهم أفقدنى الوعى ، وأنا أندفع محاولًا إنقاذ (سلوى) .

فتحت (سلوى) عينيها فى بطء ، وتنبهت إلى أنها ترقد فى فراشها ، فرفعت جسدها فى صعوبة ، وقالت :

ـــ أنا أيضًا لا أذكر سوى هذا ؟

أسرع إليها (نور) ، وربت على كتفها فى حنان ، وهو يقول :

ـــ حمدًا لله على سلامتك يا (سلوى)

ترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تقول

ـــ لقد كان ذلك مخيفًا يا (نور) .. لقد كان أكثر المواقف

التى تعرضت لها رعبًا ، حتى أننى فقدت الوعى من شدة الفزع .

ربت على كتفها فى حنان ، وقال :

ـــ سينتهى كل شىء يا (سلوى) .. لن تنتصر مملكة النار مرة أخرى .

ثم أردف فى صرامة وغضب :

ـــ أعدكما بذلك .

* * *



٧ ـ قلب الهرم ..

استمع الدكتور (زهير) إلى قصة (نور) في اهتمام، وهو ينفث دخان غليونه في بطء، ثم نقل بصره بين (نور) و (سلوى)، والدكتور (حجازى)، وتنهّد قبل أن يقول :

ـ إذن فقد التقيتم بمملكة النار .

ومطّ شفتيه، وهو يردف :

ـ يا للغرابة !! لقد قضيت عمرى كله أتطلّع لمثل هذا اللقاء .

غمغمت (سلوى) في ضيق :

ـ فلنحمد الله (سبحانه وتعالى) لأنه لم يحدث لك .

تطلّع إليها الدكتور (زهير) وهو يبتسم، ثم هزّ رأسه وقال :

ـ آراؤنا تختلف يا سيدتى .

سأله (نور) في صرامة :

ـ والآن يا دكتور (زهير)، نحن نحتاج إلى تعاونك على وجه السرعة .

عقد الدكتور (زهير) حاجبيه، وبدا وكأنه يستغرق في التفكير لحظة، قبل أن يرفع عينيه إلى (نور)، ويقول :

ـ اسمع أيها الرائد .. لقد قضيت عمرى كله في دراسة أسرار الهرم الأكبر، والعقائد القديمة، التى تدور حوله .. ولقد قادتنى دراستى إلى الإيمان تمامًا، بأن سرّ مملكة النار يكمن في حجرة الهرم السفلى تحت الأرض .

غمغم الدكتور (حجازى) في دهشة :

ـ تحت الأرض ؟!

تحرّك الدكتور (زهير) نحو لوحة كبيرة تمثّل مقطعًا في الهرم الأكبر، وتحتل جزءًا كبيرًا من حائط مكتبه، وأشار إليها قائلًا :

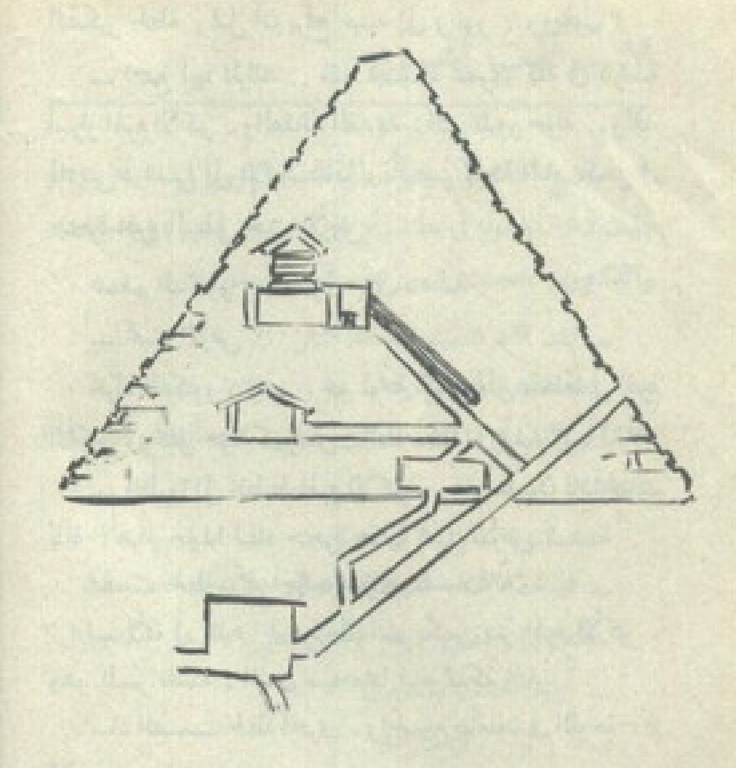
ـ انظروا إلى تخطيط الهرم الأكبر .. هل تعلمون لماذا تجشّم بُناة الأهرام جهدًا لبناء حجرة خالية تحت الأرض ؟..

صمت لحظة، ثم أجاب سؤاله بنفسه قائلًا :

ـ لأن في هذه الحجرة بالذات يكمن سرّ الهرم الأكبر، وهو السّر نفسه، الذى سيجعلنا نهزم مملكة النار .

ساد الصمت لحظة أخرى، والجميع يتأمّلون في اللوحة، ثم قال (نور) في هدوء :

ـ هل ستعاوننا يا دكتور (زهير) ؟



ـــ انظروا إلى تخطيط الهرم الأكبر .. هل تعلمون لماذا تجشّم بُناة الأهرام جهدًا لبناء حجرة خالية تحت الأرض ؟..

أشار الدكتور (زهير) إلى الحجرة السفلية فى اللوحة ، وقال :

ـــ ينبغى أن نصل هنا أولًا أيها الرائد .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ يمكننى ضمان ذلك ياسيِّدى .

تألقت عينا الدكتور (زهير) ، وهو يقول :

ـــ سأحتاج أيضًا إلى تصريح باستخدام جهاز له ذبذبة خاصة أيها الرائد .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

ـــ سأعمل على توفير هذا أيضًا يا دكتور (زهير) .

ضاقت عينا الدكتور (زهير) ، ومدَّ يده نحو (نور) ، وهو يقول :

ـــ فى هذه الحالة يمكنك أن تضمن تعاونى أيها الرائد ، والقضاء على مملكة النار أيضًا .

تصافحا فى قوة ، ثم قال (نور) :

ـــ موعدنا بعد ساعتين يا سيِّدى .. فى قلب الهرم .

بدت عينا الدكتور (زهير) شديدتى التألق ، وهو يكرِّر فى قوة :

ـــ نعم أيها الرائد .. فى قلب الهرم .

* * *

تأمّلت (سلوى) ملامح (نور) الجامدة ، وهو يقود سيارته ، وسألته فى حَيْرة :

ــ ماذا بك يا (نور) ؟.. لقد حصلت على موافقة الدكتور (زهير) على التعاون معنا ، وعلى التصريح الخاص بدخولنا الهرم ، واستخدام جهاز الدكتور (زهير) .. فلماذا تبدو شاردًا مهمومًا إلى هذا الحدّ ؟

مرّت فترة من الصمت ، خُيِّل لـ(سلوى) خلالها أن (نور) لم يسمع سؤالها ، فهمّت بتكراره ، لولا أن قال :

ــ مازالت الأمور تبدو لى شديدة الغموض يا عزيزتى ، فالأحداث فى مجملها عديدة محيِّرة .

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يقول فى شرود ، وكأنه يحدّث نفسه :

ــ موكب غامض مخيف فى سفح الهرم ، وجثة محترقة ، وأخرى محنّطة ، وكهنة مجانين يختطفوننا ، ويحاولون قتلنا فى وحشية ، ثم يعيدوننا دون أن يمسّونا .. ما الذى يربط كل هذه الأحداث فى رأيك ؟

هزّت كتفيها فى حَيْرة ، وقالت :

ــ لست أدرى يا (نور) .. الأمر حقًّا يمتلئ بالغموض .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى صوت خافت :

ــ هناك أيضًا نقطة غامضة ، ما زالت تثير حَيْرتى .

سألته فى دهشة :

ــ نقطة غامضة ؟ ماذا تعنى يا (نور) ؟

صمت لحظة مفكرًا ، ثم قال فى هدوء :

ــ كم يؤسفنى أن الدكتور (حجازى) قد اضطر لمغادرتنا ، لمتابعة أعماله ..

قالت (سلوى) فى غضب :

ــ لا تحاول الفرار من سؤالى يا (نور) .. ما هذه النقطة الغامضة ؟

مطّ شفتيه ، وقال :

ــ إنها ليست نقطة محدودة يا (سلوى) .. وإنما أشعر بأنه هناك خيط ما ينقصنا لربط هذه الأحداث بعضها ببعض .

تضاعفت حَيْرتها ، وهى تسأله فى فضول :

ــ أى خيْط هذا يا (نور) ؟.. إن حديثك يبدو لى أكثر غموضًا من هذا اللّغز نفسه .

هزّ رأسه ، وهو يقول :

ــ لا بأس يا عزيزتى ، دعينا نؤجل هذا النقاش لما بعد ..

فها هو ذا الدكتور (زهير) ينتظرنا أمام هيئة الآثار المصرية .

* * *

جلس الدكتور (زهير) صامتًا ، طوال الطريق إلى منطقة الأهرامات ، وشاركه (نور) و (سلوى) صمته ، فلم ينبس أحدهم ببنتِ شفته ، حتى توقَّفت سيارة (نور) أمام مبنى الحراسة ، وهبط منها الجميع ، وتوجَّه (نور) على الفور إلى المبنى ، وأبرز تصريحه الخاص ، وهو يقول للحارس :

— احتفظ بهذا التصريح ، وستلتقط أجهزتك الذبذبية المدوَّنة به ، فلا تجزع لذلك .

قرأ الحارس التصريح فى اهتمام ، ثم سأل (نور) فى هدوء :

— أهى أبحاث خاصة يا سيِّدى الرائد ؟

ابتسم (نور) ، وأجاب :

— نعم .. إنها كذلك .

عاد الحارس يقرأ التصريح مرَّة أخرى ، ثم هزَّ كتفيه ، وقال :

— حسنًا .. مادامت الأوامر تنصّ على ذلك .

تبادل (نور) والحارس التحية العسكرية، ثم اتجه (نور) ورفيقاه إلى الهرم الأكبر .. شعرت (سلوى) برجفة تسرى فى جسدها، وهى تعبر مدخل الهرم الأكبر، أمام (نور)، والدكتور (زهير)، وانتقلت هذه الرجفة إلى صوتها، وهى تغمغم:

— يا إلهى !! .. إننى أشعر بالانقباض .

ضحك الدكتور (زهير) ، الذى يسير فى مؤخرة الركب خلف (نور) ، وقال :

— هذا يعود إلى ضيق الممر فحسب يا سيِّدتى .. وستحسّن مشاعرك بالتأكيد ، حينما نصل إلى الحجرة السفلى .

أخذوا يهبطون الدَّرجات الحجرية القديمة فى بطء، وصمت ، بعد عبارة الدكتور (زهير) الأخيرة ، حتى قال (نور) :

— علامَ يعتمد جهازك يا دكتور (زهير) ؟

أجابه صوت الدكتور (زهير) من خلفه ، وهو يحمل رنَّة ساخرة ، لم تخطئها أُذن (نور) :

— دَعْ هذا للمتخصصين أيها الرائد ، وستعلم كل شىء عما قريب .

عقد (نور) حاجبيه فى غضب ، وقال :

— أعتقد أن لدىَّ من الخلفيات العلمية ، ما يسمح لى بفهم طبيعة جهاز تبلغ ذبذبته ....

لم يكد (نور) ينطق بشدة الذبذبة ، حتى توقَّفت (سلوى) بغتة ، وغمغمت فى دهشة :

— يا إلهى !! .. أى جهاز هذا ؟

بدا صوت الدكتور (زهير) جافًا قاسيًا ، وهو يقول :

ـــ لا شأن لك بهذا أيتها الشابة .

استدارت إليه (سلوى) ، وقالت فى غضب وعناد :

ـــ بل هو شأنى بالذات يا دكتور (زهير) .. فأنا خبيرة فى علم الذبذبات والاتصالات ، وأعلم بحكم دراستى وخبرتى ، أن مثل هذه الذبذبة المرتفعة لا تستخدم إلا لغرض واحد ..

ثم أردفت فى صوت مرتجف :

ـــ الحفر .

تطلّع إليها (نور) فى دهشة ، وتألقت عيناه بغتة ببريق مألوف ، ثم استدار إلى الدكتور (زهير) فى حِدّة ، وهتف فى صوت متحشرج :

ـــ إذن فهو أنت .. أنت الذى وراء كل هذه الأحداث .. أنت الخيط الذى يربط كل هذه الأحداث الغامضة .

تراجعت (سلوى) فى ذهول ، فى حين رفع الدكتور (زهير) بغتة مسدسًا ليزريًا فى وجه (نور) ، وقال فى صوت وحشى مخيف :

ـــ نعم أيها الرائد الذكىّ .. إنه أنا .

* * *

٨ ـــ الحقيقة ..

التصقت (سلوى) بزوجها (نور) فى رُعب ، وهتفت فى انفعال ، وهى تتطلّع فى خوف إلى ملامح الدكتور (زهير) ، التى امتلأت فجأة بالوحشية والشراسة :

ـــ (نور) .. ماذا يحدث ؟!.. هل توصّلت إلى الحل ؟

ربّت (نور) على كفّها مطمئنًا ، وقال وهو يتطلّع إلى المسدس الليزرىّ ، المصوّب إلى رأسه فى غضب :

ـــ نعم يا عزيزتى .. لقد توصّلت إلى حلّ هذا اللغز الغامض ، ولكن بعد فوات الأوان للأسف .

أطلق الدكتور (زهير) ضحكة مخيفة ، وقال :

ـــ نعم يا فتى .. بعد فوات الأوان .

ثم أردف فى صرامة شرسة :

ـــ والآن .. سنواصل رحلتنا إلى الحجرة السفلية ..

وتألقت عيناه ببريق مخيف ، وهو يستطرد :

ـــ إلى القوة والمجد .



ثم أردف فى صرامة شرسة :

ــ والآن .. سنواصل رحلتنا إلى الحجرة السفلية ..

واصلا هبوطهما أمامه فى استسلام ، وقال (نور) ، وهو يضم جسد زوجته المرتجف إليه :

ــ لا أعتقد أننا سنجد الحجرة السفلية خالية .. أليس كذلك ؟

أجابه الدكتور (زهير) فى شراسة :

ــ هذا صحيح أيها العبقرى .. ستجد بها خمسة من الإخوة ، وجهازًا أُعِدَّ خصيصًا لهذه اللحظة التاريخية .

كان الضوء المنبعث من الحجرة السفلى قد بدا واضحًا فى هذه اللحظة ، فغمغم (نور) :

ــ أنت عبقرىّ يا دكتور (زهير) .

أطلق الدكتور (زهير) ضحكة قصيرة ، وقال :

ــ نعم .. هذا صحيح .

قال (نور) فى برود :

ــ عبقرىّ إجرامىّ حقير .

اكتست ملامح الدكتور (زهير) بغضب عنيف ، وهو يقول فى قسوة :

ــ هل سئمت الحياة أيها الرائد ؟.. هل تحبّ أن أزيّن رأسك بثقب من أشعة الليزر ؟

ابتسم (نور) فى سخرية ، وقال :

ــ إنك لن تفعل يا دكتور (زهير) .. ستنتظر حتى نشهد انتصارك ، ثم تقضى علينا .

لم ينطق الدكتور (زهير) بكلمة واحدة ، فى حين استطرد (نور) :

ــ لقد كانت خطة متقنة للغاية .. ومن العجيب أننى لم أنتبه إلى نقطة بسيطة فى أولها ، وإلا انهارت خطتك كلها من أساسها .

استمر الدكتور (زهير) على صمته ، وترك (نور) يواصل قائلاً :

ــ لقد أشار (أيمن) و (سامى) ، حارسا المنطقة ، فى البداية إلى أن (عصام) بدا لهما مختلفًا .. ولقد عزوت أنا هذا إلى توتره وقلقه ، ولكن الحقيقة لم تكن كذلك .. لقد كان حقًا مختلفًا ، فهو لم يكن (عصام) نفسه الذى يعرفونه ، بل أحد أعوانك ، انتحل شخصيته ، واحتل مكانه .. وفى الوقت نفسه أحرقت أنت وأعوانك جثة المسكين (أشرف) ، واحتفظتم بالجثة المحترقة فى مكان بارد ، حتى يبدو وكأنه قد احترق لتوه ، حينما يكشف زميلاه جثته .. وقمتم فى الوقت نفسه بقتل (عصام) وتحنيطه ، وأصبحت الخطة معدة للتنفيذ .

صمت (نور) لحظة ، فقال الدكتور (زهير) فى حدة :

ــ واصل حديثك أيها الرائد .

قال (نور) ، وهو يواصل هبوطه نحو الحجرة السفلية :

ــ لقد وقف الرجل الذى ينتحل شخصية (عصام) متظاهرًا بالقلق والتوتر ، فى موعد وصول حارس النوبتجية الليلية .. وعند وصولهما بدأ العرض المسرحى ، باستخدام آلة عرض هولوجرافية مجسمة ، جعلت الحارسين يظنان أنهما يشاهدان موكبًا فرعونيًا قديمًا عند سفح الهرم .. فى حين لم تكن هذه إلا تمثيلية تم تصويرها هولوجرافيًا مسبقًا .. وحينما تظاهر الممثل الذى ينتحل شخصية (أشرف) بالهروب ، هتف الآخر الذى ينتحل شخصية (عصام) ، موهمًا الآخرين أنه (أشرف) نفسه .. ولما كانت المسافة لا تسمح لهما بالتحقق من ذلك ، فقد أخذا قول الآخر قضية مسلمة .. ولقد كان من الطبيعى أن يهرعا لإنقاذ زميلهما ، حينما ألقى به فى النيران ، فى واحدة من الخدع الهولوجرافية القديمة .. وعندما اقتربا من المكان أوقفتم البث الهولوجرافى ، فاختفى الموكب كله ، وبقيت جثة (أشرف) المحترقة ، التى وضعتموها مسبقًا ، مما أوحى للرجلين بأن ما رأياه كان حقيقيًا ، ثم إنكم لم تمنحوهم الفرصة

للتيقن من أى شىء .. ففور كشفهما للجثة ، أطلق ذلك الرجل المزيف صرخته ، وأسرع يبتعد عن المبنى ، تاركًا خلفه جثة (عصام) المحنطة .. وهكذا اكتملت جوانب اللُّغز ، وبات الموقف كله شديد الغموض .

بدا صوت الدكتور (زهير) شديد التلهُّف ، وهو يقول :

ــ ولماذا نفعل كل هذا ؟

ابتسم (نور) فى سخرية ، وقال :

ــ كان هناك غرضان رئيسيان لذلك : أولهما أن يجذب غموض الموقف انتباه رجال المخابرات العلمية ، فيبحثون ويبحثون ، حتى يضطروا فى النهاية إلى البحث عن عالم آثار .. وهنا يقودهم الكمبيوتر إلى عالم الآثار المصرية القديمة ، الوحيد الذى تخصَّص فى دراسة العقائد القديمة حول الهرم .. إليك أنت بالذات يا دكتور (زهير) .

سأله الدكتور (زهير) فى اهتمام :

ــ والسبب الثانى ؟!

أجابه (نور) على الفور :

ــ أن يتمكَّن رجالك الخمسة من التسلُّل إلى الهرم الأكبر ، حاملين جهاز الحفر الخاص ، فى غمرة قلق الحارسين وتوترهما ، وتعلُّق أبصارهما بالمشهد الخرافىّ للموكب المرعب .

قال الدكتور (زهير) فى غطرسة :

ــ هذا لا يفسِّر كل شىء .

أسرع (نور) يقول :

ــ مازالت هناك نقطة أخرى يا دكتور (زهير) .. فقد هاجمنا رجالك متنكِّرين فى هيئة كهنة ورجال قدماء المصريين ، وحملونا إلى مكان تم إعداده فى دقة .. ثم افتعلوا موقفًا مسرحيًا جديدًا ، عادوا بعده يفقدوننا الوعى ، ويعيدوننا إلى السيارة .. ولقد كانت هذه النقطة بالذات تحيِّرنى جدًا ، فلو أنهم يريدون قتلنا ما كان هناك داعٍ لكل هذا العبث ، ولكان من السهل عليهم التخلُّص منَّا ونحن فاقدو الوعى .. ثم تنبَّهت الآن إلى أن خطَّتك ، أو خطَّتهم كانت تعتمد على بقائنا أحياء ، بعد أن نتأكد من وجود ما أطلقت أنت عليه اسم (مملكة النار) .. وهنا ستزداد رغبتنا فى تعاونك ، وستصدِّق كل ما ادعيته أنت من وجود هذه المملكة الوهمية .. وهكذا ستقودنا أنت فى بساطة إلى منحك تصريحًا خاصًا باستخدام جهازك ، الذى كنت تخشى أن تلتقط أجهزة الحراسة ذبذبته المرتفعة .

غمغم الدكتور (زهير) فى تفاخر :

ــ لقد كانت خطَّة متقنة .

أجابه (نور) فى ضيق :

ــ إننى أعترف بذلك ، فهأنتذا داخل الهرم الأكبر ، وبوسعك استخدام جهازك بأقصى طاقته ، أمام سمع وبصر رجال الحراسة .

وصلوا فى هذه اللحظة إلى الحجرة السفلية ، التى أضيئت بمصباح صناعىّ قوىّ ، رأى (نور) و (سلوى) على ضوئه خمسة رجال ، يحملون ملامح أجنبية ، وأمامهم جهاز بسيط الشكل فى منتصف الحجرة تمامًا ، وتطلّع إليهم الرجال الخمسة فى عداء ، فى حين اندفع الدكتور (زهير) يتحسّس الجهاز فى حنان ولهفة ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، ويسأله فى لهجة أقرب إلى الجنون :

ــ حسنًا أيها الرائد .. لقد توصّلت إلى كل شىء ، ولكنك لم تعرف بعد لماذا فعلنا كل ذلك ؟

غمغم (نور) فى صرامة :

ــ إنه غرض دنىء ولا شك .

تألقت عينا (زهير) فى بريق مرعب ، وقال :

ــ بل هو أعظم غرض فى العالم كله أيها الرائد .

ثم أشار إلى مركز الحجرة ، وصرخ فى جنون :

ــ هنا .. وعلى عمق نصف كيلومتر فى باطن الأرض ، توجد أعظم أسرار هذا الكون .. أعظم الأسرار منذ بدء الخليقة .

وأردف وجسده كله يرتعد :

ــ من قبل أن يبدأ حتى عالمنا هذا .. العالم السابع .

* * *



٩ ـ الحضارة السابعة ..

تجلت الدهشة على وجهى (نور) و (سلوى) ، وغمغم (نور) فى حيرة :

ـ ماذا تعنى بكلمة (العالم السابع) يا دكتور (زهير) ؟

أطلق الدكتور (زهير) ضحكة جنونية عالية ، ثم التفت إلى (نور) بغتة ، وقال فى انفعال شديد :

ـ هل تعلم لماذا يمتلئ هذا العالم بالأسرار يا (فتى) ؟.. هل تعلم لماذا يقف أعظم العلماء حائرًا أمام عقلية (ليوناردو دافنشى) ، التى ابتكرت مخترعات مذهلة ، تفوق العصر الذى عاش فيه (دافنشى) بقرون عديدة(*) وأفكاره متعددة ؟..

* ليوناردو دافنشى : (١٤٥٢ - ١٥١١) ، واحد من أعظم العبقريات فى التاريخ الحديث ، ويذهب البعض إلى اعتباره أشهر وأعظم عبقرية فى التاريخ كله .. فقد كان مصورًا ، ومثالًا ، ومعماريًا ، وموسيقيًا ، ومهندسًا ، ويعود إليه فضل ابتكار مخترعات سابقة لعصره بكثير ، مثل الهليوكوبتر ، والمدفع الرشاش ، والمظلة الواقية ، والمرجل البخارى ، والمولدات المائية وعشرات غيرها ..

هل تعلم لماذا تثير حضارة قدماء المصريين حيرة الجميع ؟.. هل سمعت عن كهوف (تيسلى) ، التى عثر العلماء فيها على رسوم لرجال ونساء ، يرتدون الأزياء المعروفة فى القرن العشرين ، على الرغم من أن عمر الرسوم نفسها يصل إلى عشرات القرون ؟(*) .. هل تعلم لماذا يفيض العالم بألغاز مماثلة فى كل مكان ؟

غمغم (نور) فى اهتمام :

ـ هل لديك أنت تفسير لذلك ؟

صاح (زهير) فى جنون :

ـ بل أنا الوحيد الذى يملك تفسيرًا لكل ذلك .

واقترب بوجهه ، حتى صار على بعد سنتيمترات قليلة من (نور) ، وهو يردف :

ـ الواقع أيها الرائد هو أننا لسنا أول حضارة تنشأ على هذه الأرض .. لقد نشأت قبلنا ست حضارات أخرى ، وصلت كل منها إلى أعظم مما توصلنا إليه ، ثم انهارت وأبيدت عن آخرها ، وتركت لنا هذه الألغاز الغامضة ، لتثير حيرة الجميع ، وترشد العباقرة مثلى إلى الحقيقة .

* حقيقة واقعية .

أطلق ضحكة أخرى مجنونة ، قبل أن يستطرد :

ــ هل تعلم لماذا نقدّس الرقم (سبعة) فى عالمنا هذا؟.. السمٰوات سبع .. والأراضى سبع .. والأسبوع سبعة أيام .. والفقرات العنقية سبع .. وغيرها وغيرها .. هل تعلم لماذا؟

أجابه (نور) فى جدّة :

ــ إنه مغزى دينى ، يعود إلى أن الله (سبحانه وتعالى) قد خلق العالم فى سبعة أيام .

أطلق الدكتور (زهير) ضحكة أخرى ، وقال :

ــ كلّا يافتى .. إنما يعود هذا إلى أننا العالم السابع ، والحضارة السابعة ، ومن قبلنا كانت هناك حضارة تقدّس الرقم (ستة) .. فيها السمٰوات ست .. والأراضى ست .. وأيام الأسبوع ستة .. وقبلها حضارة تقدّس الرقم (خمسة) ، وأخرى تقدّس الرقم (أربعة) .. وهكذا دواليك .

برقت عيناه ، وهو يقول :

ــ والحضارة السادسة هى بالذات التى تهمّنا .. هى الحضارة التى أقامت هذا الهرم ، وأودعته كل ما لديها من علوم وأسرار .

هتف (نور) فى جدّة :

ــ إنه مجرّد تخمين محض .

صاح الدكتور (زهير) فى غضب :

ــ بل هو نتاج عمر كامل من البحث والدراسة والتنقيب .. لقد توصّل عباقرة الحضارة السادسة إلى نفس الحقيقة التى توصّلت أنا إليها فى حضارتنا السابعة ، وتملّكهم خوف هائل من أن تُباد حضارتهم ، ويضيع كل ما لديهم من علوم وأسرار .. فأودعوا كل ما لديهم كبسولة من معدن خاص ، يمكنه مقاومة كل العوامل البيولوجية ، ودفنوها على عمق خمسمائة متر فى قاع الأرض ، وبقيت أمامهم مشكلة .. كيف تتوصّل الحضارة التالية لهم إلى الكبسولة ، وتفيد من كل العلوم والأسرار التى جمعوها طيلة حضارتهم ؟.

بدأ حاجبا (نور) ينعقدان على نحو يوحى باهتمامه بما يقول الدكتور (زهير) ، فى حين واصل هذا الأخير حديثه ، والكلمات تتدفّق من بين شفتيه ، قائلًا :

ــ لهذا بنوا الهرم الأكبر .. صنعوه بكل ما لديهم من علوم متقدّمة ، وتقنية متحضّرة ، ليكون مرشدًا لمن يأتى بعدهم ، ودليلًا على تقدّمهم وعلومهم ؛ لهذا ما زال الهرم الأكبر أعظم لغز فى حضارتنا السابعة ؛ لأننا لم نتوصّل بعد إلى ما توصّلوا إليه هم عندما أقاموه .

غمغمت (سلوى) ، وقد خُيِّل إليها أن عقلها يغلى ، من كثرة ما سمعته من عبارات غامضة واستنتاجات مخيفة :

ــ ولكن هذا لا يبدو معقولاً .. إنه أكثر خيالاً مما يتصوَّرون . .

أجابها (نور) فى هدوء :

ــ ولكننى أراه معقولاً للغاية يا عزيزتى .

التفتت إليه ، وهتفت فى ذهول :

ــ ماذا تقول يا (نور) ؟

أجابها ، وهو يشدّ على يدها :

ــ فى عام ألف وتسعمائة وخمسة وستين ، وضع الأمريكيون فى منطقة (نيويورك) ، وعلى عمق كبير تحت الأرض صندوقين يمكنهما مقاومة كل المؤثرات الخارجية المعروفة ، ويمكنهما الصمود حتى عام ستة آلاف وتسعمائة وخمسة وستين ، أى ما يقرب من خمسة قرون .. ولقد أودعوا هذين الصندوقين كل المعلومات والمعارف والعلوم ، التى توصّلوا إليها فى ذلك الحين .. ولقد تم صنع الصندوقين من معادن يمكنها مقاومة الانفجارات النووية ، وفى كل منهما صور للمدن ، والسفن ، والسيارات ، والطائرات ، والصواريخ ، وعيّنات من المعادن والمواد

البلاستيكية ، والعملات ، والنسيج ، وبعض كتب الرياضيات ، والطب ، والفيزياء ، والأحياء ، والفلك ، بالإضافة إلى مفتاح يمكن بواسطته ترجمة كل هذا لعصور مستقبلية(*) .. وأعتقد أن هذا ما فعله أبناء الحضارة السابعة تمامًا .

هتف الدكتور (زهير) :

ــ هذا صحيح .

ثم أشار إلى الجهاز المثبّت فى منتصف الحجرة ، وقال :

ــ وبجهازى هذا سنصل إلى الكبسولة ، وسنحصل على أعظم معارف وعلوم الحضارة السابقة ، وسنصبح أقوى فئة على وجه الأرض .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله فى صرامة :

ــ لماذا تتحدث بصيغة الجمع ؟.. من تعنى بـ(نحن) ؟

أشار الدكتور (زهير) إلى الرجال الخمسة ، وقال فى قوة :

ــ ألم تفهم بعد يا فتى ؟.. أنا ورفاق هؤلاء نحكم المملكة .. مملكة النار .

* * *

(*) حقيقة واقعة .

١٠ — قتال فى الهرم ..

مضت لحظة من الصمت ، و (نور) و (سلوى) يحدّقان فى وجوه الرجال الخمسة ، ثم قال (نور) فى صرامة شديدة :

— إذن فمملكة النار حقيقة ، ويحكمها ستة أوغاد .

هتف الدكتور (زهير) :

— وستتحوّل إلى إمبراطورية أيها الرائد .. إمبراطورية تحكم العالم أجمع ، وسيبدأ عصر إمبراطورية النار فور حصولنا على الكبسولة .

وأشار إلى الرجال الخمسة ، فتحرّكوا نحو الجهاز ، وبدءوا يعدّونه للعمل .. فهتفت (سلوى) فى خوف :

— هل ستستخدم الجهاز حقًّا ؟

استدار إليها الدكتور (زهير) فى سخرية ، وقال :

— بالطبع أيتها الصغيرة .. إنه وسيلتنا إلى الإمبراطورية .

ارتجف صوتها ، وهى تقول :

— ألا تعلم ما يمكن أن تفعله هذه الذبذبة ، حينما تنطلق

فى هذا المكان المحدود ؟.. ستتصدّع الجدران ، وتتشقّق ، وربما تهاوى كل شىء فوق رءوسنا .

ساد الوجوم لحظة ، ثم غمغم الدكتور (زهير) فى عناد :

— سيحتمل الهرم .

هتفت (سلوى) :

— لا يمكنك الجزم بذلك .. فالذبذبة المستخدمة أقوى من القنابل .

خيّم الصمت طويلًا ، قبل أن يعود الدكتور (زهير) إلى الغمغمة فى عناد أشد :

— سأحتمل المخاطرة .

وتحرّك نحو الجهاز فى جِدّة ، إلّا أن عبارة (نور) أوقفته ، حينما قال هذا الأخير فى برود :

— ومن قال إننى سأسمح بذلك ؟

ارتسمت ضحكة ساخرة فى عينى الدكتور (زهير) ، واقترب من (نور) ، وهو يقول فى تهكّم :

— وماذا يمكنك أن تفعل أيها البطل ؟

جاء الجواب على هيئة لكمة ساحقة ، وجّهها (نور) إلى فكّ الدكتور (زهير) ، وهو يقول فى غضب :

— هذا .

* * *

تصلّب الرجال الخمسة لحظة أمام مبادرة (نور) المفاجئة ، ورأوا زعيمهم يهوى بين قدمى (نور) ، فزمجروا فى غضب ، ولم يلبث غضبهم أن تحوّل بغتة إلى جنون هادر ، وانقضّوا على (نور) و (سلوى) ..

استقبل (نور) الرجل الأول بلكمة قوية فى فكّه ، وغاص بقبضته فى معدة الثانى ، وهو يهتف :

— الجهاز يا (سلوى) .. دمّرى الجهاز .

اندفعت (سلوى) نحو الجهاز ، فى اللحظة نفسها التى هشّم فيها (نور) أنف رجل ثالث ، وارتطمت بوجهه لكمة الرابع ، فى حين قفز الخامس نحو (سلوى) ، محاولاً منعها من الوصول إلى الجهاز ، وهتف (نور) مرة أخرى :

— دمّريه تمامًا يا (سلوى) .

لم يكد يتم عبارته ، حتى أحاط أحد الرجال عنقه بذراعه ، ولكمه آخر فى قوة .. أما (سلوى) فقد كادت تصل إلى الجهاز ، لولا أن أحاط الرجل الخامس وسطها بذراعيه ، وجذبها إلى الخلف فى عنف وقسوة ..

قاومت (سلوى) فى شراسة ، ورأت (نور) يقاتل فى وحشية ، والرجال الأربعة يهوون عليه باللّكمات فى قسوة ، فصرخت :

— سأحطّمه يا (نور) .. سأحطّمه من أجلك .

وطوّحت قدميها فى الهواء ، وركلت الجهاز الصغير ، الذى ترنّح لحظة ، ثم سقط أرضًا فى صوت مسموع ..

توقّف الرجال بغتةً ، حينما هوى الجهاز ، وقفز الدكتور (زهير) واقفًا على قدميه ، وصاح فى ذُعر ، وهو يحاول منع الدم المتدفّق من أنفه :

— ماذا فعلتِ أيتها التّعسة ؟

وأسرع إلى الجهاز فى جزع ، فى حين هتف (نور) ، الذى أحاط به الرجال فى قوة ، وقيّدوا حركته تمامًا :

— إنك لن تحكم العالم أيها الوغد المجنون .

تجاهله (زهير) تمامًا ، وهو يفحص جهازه فى اهتمام ، ثم صاح فى غضب :

— لقد تحطّم جزء صغير منه .

ثم رفع عينيه إلى أحد الرجال ، وسأله فى عصبيّة :

— هل أحضرت معك دوائر السيليكون الاحتياطية ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، فاعتدل الدكتور (زهير) ، وقال لـ(نور) فى غضب :

— لم تؤد حماقتكما إلا إلى إضاعة الوقت فحسب ، فسيستغرق إصلاح الجزء المعطوب ، وإبدال دائرة السيليكون نصف ساعة على الأكثر .

ثم أشار إلى كومة من الأسلاك ، وقال :

— قيدوهما فى ركن الحجرة يا رجال ، وأسرعوا لإصلاح الجهاز .

وتطلَّع إلى (نور) و (سلوى) فى ضيق ، وهو يقول :

— سنتركهما حتى يشاهدا انتصارنا بأعينهما ، ثم ....

برقت عيناه فى جذل ، وهو يستطرد :

— ثم ندفنهما حيث نجد الكبسولة ... ندفنهما أحياء .

* * *

١١ — حضارة الخوف ..

استلقى (نور) و (سلوى) فى ركن الحجرة ، مقيَّدين ، يراقبان الرجال الخمسة ، والدكتور (زهير) ، وهم ينهمكون فى إصلاح الجهاز ، وهمست (سلوى) فى خوف :

— لماذا يفعلون كل هذا يا (نور) ؟

أجابها فى هدوء :

— البحث عن القوَّة يا عزيزتى .. حلم البشرية منذ الأزل .

قالت فى توتُّر :

— ولكنهم قد يقتلوننا جميعًا بمحاولتهم هذه .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— سيكون هذا أفضل النتائج يا (سلوى) .

سألته فى دهشة :

— ماذا تعنى ؟

أجابها فى هدوء :

— أعنى أنه لو تحقَّقت نظريتك ، وانهارت الجدران لتدفننا

جميعًا ، فسيعنى هذا فشلهم فى العثور على الكبسولة ، ونجاة العالم كله مما يمكن أن يفعلوه به ، لو أنهم عثروا عليها .

ارتجف جسدها ، وارتعد صوتها ، وهى تقول :

ــ لا تتحدث هكذا يا (نور) ، فالفكرة وحدها ترعبنى .

وانحدرت الدموع من عينيها ، وهى تستطرد :

ــ كم أشعر بالشوق لرؤية ابنتنا (نشوى) يا (نور) .. ماذا ستفعل لو لقينا حتفنا هنا ؟

قاوم عواطفه ، وهو يغمغم :

ــ ستعيش فى عالم أفضل ، لا يحكمه هؤلاء الأوغاد .

واصلت الدموع انحدارها من عينى (سلوى) فى صمت ، فى حين واصل (نور) ، مغمغمًا :

ــ لو أن هؤلاء الأوغاد نجحوا فى مهمتهم ، فقد يعنى هذا قدرتهم على حكم العالم حقًّا .. وفى هذه الحالة قد تنشأ حضارة جديدة .. حضارة يحكمها الخوف ، وترتفع فيها ديكتاتورية النار ، ولا أحب لابنتى أن تنشأ فى مثل هذه الحضارة الهابطة .

بكت (سلوى) ، وهى تغمغم :

ــ أنت محق يا (نور) ، ربما كان من العسير علىَّ أن أستسلم لمنطقك ، ولكنك على حق .

رفعت عينيها إليه ، وحدقت فى دهشة إلى علامات الألم المرتسمة فى ملامحه ، والتى يبذل جهدًا مضاعفًا لإخفائها ، وسألته فى همس قلق :

ــ ماذا بك يا (نور) ؟.. ماذا يؤلمك ؟

أجابها فى مزيج من الهمس والألم :

ــ صمتًا يا عزيزتى .. لقد كدت أتخلص من هذه القيود اللعينة .

كاد صوتها يرتفع وهى تهتف فى لهفة :

ــ (نور) .. هل تعنى ؟....

أجابها هامسًا :

ــ نعم يا عزيزتى .. مازال هناك أمل .

* * *

انتهى الدكتور (زهير) من إصلاح الجهاز ، واعتدل يراقب الرجال الخمسة ، وهم يثبتونه فى موضعه الأول فى عناية ، فى نفس اللحظة التى همس فيها (نور) :

ــ (سلوى) .. أنت تعلمين أننى أكره العنف وأبغضه .. أليس كذلك ؟

سألته فى حيرة :

ــ بلا شك يا (نور) .. لماذا تقول ذلك ؟

بدا وكأنه لم يسمعها ، وهو يواصل قائلاً فى شرود :

ـ أحيانًا يضطر المرء إلى إتيان أعمال يبغضها ، ولكن هذا يكون حتميًا .

سألته وقد تضاعف قلقها ، وازدادت حَيرتها :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟

قبل أن يجيبها اقترب منهما (زهير) ، وانحنى يقول فى سخرية :

ـ سنبدأ تشغيل الجهاز أيها البطلان .

ثم أشار إلى الرجال الخمسة ، الذين أخذوا يثبتون أجهزة مستديرة على آذانهم ، وتابع :

ـ عندما يبدأ الجهاز عمله ، ستصبح ذبذباته شديدة الإيلام بالنسبة للآذان .. وباستمرارها ينهار الجهاز السمعى فى الأذن الداخلية ، وكذا جهاز الاتزان ، ويعجز المتعرِّض لذلك عن الوقوف ثابتًا مرة أخرى ، ويصبح أصمَّ إلى الأبد .

ازدادت ابتسامته سخرية ، وهو يقول :

ـ وبعد ذلك يصاب بالجنون .. وهذا هو مصيركما أيها البطلان .

وفى هدوء ، أخرج من جيب سترته جهازين مستديرين ، ثبتهما على أذنيه ، وأشار إلى الرجال الخمسة قائلاً :

فلنبدأ رحلتنا نحو القوة يا سادة .

وبلمسة زرّ بسيطة .. بدأ الجهاز عمله ..

* * *

ارتجف المكان فى قوة مع عمل الجهاز ، وشعر (نور) و (سلوى) بطنين رهيب فى آذانهما ، وبآلام رهيبة تهاجم عقليهما ، وصرخت (سلوى) فى ألم :

ـ لن أحتمل يا (نور) .. لن أحتمل .

صاح فى قوة :

ـ ولا أنا يا (سلوى) .

وفجأة .. رأته (سلوى) يقفز واقفًا على قدميه ، وخُيِّل إليها أن قامته قد استطالت ، وأنه بدا كعملاق ، وهو ينقض على الرجال الخمسة ..

كان أول ما فعله هو أن قفز نحو الجهاز ، وركله فى قوة ، فألقى به أرضًا ، وتوقّفت فى الحال تلك الذبذبات ، التى كادت تُودى بعقل (سلوى) ، ثم اندفع نحو (زهير) ، ولكمه لكمة قويّة ، ثم التقط مسدس (زهير) من سترته فى حركة رشيقة سريعة ، وصوّبه نحو الرجال الخمسة ، الذين شهروا مسدساتهم الليزرية فى وجهه بسرعة ، وانطلقت دفقات الليزر الزرقاء القاتلة فى حجر الهرم السفلى ..

شعر (نور) بخيط من الليزر يخترق ذراعه اليسرى ، وآخر يعبرُ ساقه اليمنى ، ومرق ثالث على بعد مليمتر واحد من رأسه .. فأطلق مسدس (زهير) نحو الرجال الخمسة ، ورأى

أحدهم يهوى ، والدماء تندفع غزيرة من ثقب صغير فى منتصف جبهته ، وآخر يسقط على ركبتيه ، وقد جحظت عيناه ، وهو يحاول منع الدم المتدفّق من ثقب آخر فى عنقه ، واندفع الثالث ليرتطم بالحائط ، بعد أن اخترقت أشعة الليزر قلبه مباشرةً ..

بدا الأمر ككابوس بشع ، أو حلم أسود مخيف ، وتحرّك (نور) فى سرعة ، محاولاً الفرار من أشعة الليزر القاتلة ، ولكنه شعر بآلام مبرّحة فى عنقه ، وتهاوى على ركبتيه عندما اخترق فخذه اليسرى خيط آخر من أشعة الليزر ، واستجمع ما تبقى من قوته ، ليطلق أشعة المسدس الذى يحمله نحو الرجلين الباقيين ، ورأى أحدهما يسقط كحجر أصمّ ، والآخر يدور حول نفسه ، ويطلق حشرجة مخيفة ، قبل أن يسقط أرضًا ويرتطم بالجهاز ، وتسيل دماؤه فوقه ..

دارت الدنيا أمام عينى (نور) ، أو بمعنى أدق دارت جدران الحجرة الحجرية حوله ، واكتنفه دوار شديد ، تغلّب عليه بسرعة ، عندما سمع صوت (زهير) يقول فى شراسة :

ـــ حركة أخرى زائدة ، وأطلق الأشعة على رأس زوجتك مباشرةً أيها الرائد .

* * *

١٢ ـــ الدمـــاء ..

أدار (نور) عينيه فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وارتجف قلبه حينما رأى (زهير) ، وهو يصوّب أحد مسدسات القتل الخمسة إلى رأس (سلوى) ، فعقد حاجبيه ، وقال فى غضب :

ـــ لو مسست شعرة واحدة من رأسها ، فسأحوّل هذا الهرم إلى مقبرة لك أيها الوغد .

قال (زهير) فى شراسة :

ـــ لم يعُد لدىّ ما أخسره أيها الرائد .

أدار (نور) فوّهة مسدسه الليزرىّ فى سرعة إلى الجهاز ، وقال فى صرامة :

ـــ لديك هذا أيها الحقير .

شحب وجه (زهير) ، وقال فى لهجة أقرب إلى التوسّل :

ـــ حاول أن تفهم أيها الرائد .. إننا أمام أعظم قوة عرفها العالم .. علوم وحضارة عالم كامل .. هل تفهم ماذا يعنى

ذلك ؟.. إننا فى عصر يتفوّق فيه العلم ، ولو أننا نجحنا فى استخراج هذه الكبسولة ، فسنصبح أعظم رجال العصر .

قال (نور) فى حزم :

ــ وأكبر ديكتاتورين عرفهما التاريخ .

صاح (زهير) فى غضب :

ــ دعْ هذه الكلمات المنمّقة أيها الرائد .. أنت عبقرىّ ، وتعلم مثلى قيمة القوّة .. ألا تطمح إلى التفوُّق ؟.. إلى السيطرة ؟

صاح (نور) فى حنق :

ــ وما أدراك أن ما تحويه هذه الكبسولة سيدفعنا إلى التفوّق والسيطرة ؟.. أليس من المحتمل أن تكون تلك المعارف هى سبب دمار تلك الحضارة التى تركتها لنا ؟.. انظر إلى ما وصلنا إليه فى حضارتنا هذه .. قنابل أيونية .. إشعاعات ليزرية .. قنابل جاما .. وعشرات من وسائل الدمار ، التى تكفى لتحطيم كوكبنا كله بلمسة زرّ .. هل تعلم ما يمكن أن يحدث لو نشبت فجأة حرب أيونية ؟.. ستنهار كل هذه الحضارة التى تراها .. ستتحوّل كلها إلى كومة من الدمار والأشلاء .

صرخ (زهير) فى جنون :

ــ أيّة حماقة تقول ؟.. هل ترفض القوّة ؟

أجابه (نور) فى برود :

ــ إننى أرفض التحكّم والسيطرة الغاشمة .

احتقن وجه (زهير) بدماء الغضب ، وصرخ :

ــ إذن فستدفع زوجتك الثمن .

وانطلقت أشعة الليزر القاتلة ..

* * *

ارتجفت (سلوى) ، وتطلّعت فى رعب إلى وجه الدكتور (زهير) ، الذى اكتسى فجأة بشحوب الموت ، وجحظت عيناه فى رعب ، واندفعت الدماء من ثقبين فوق أذنيه ، قبل أن يهوى إلى جوارها قتيلاً ..

أدارت عينيها فى فزع إلى (نور) ، واسترجعت بسرعة مشهده ، عندما تحرّك فى سرعة مذهلة ، ونقل فوّهة مسدسه الليزرىّ من الجهاز إلى رأس (زهير) ، وأطلقه بلا تردُّد ..

غمغمت فى ذهول :

ــ (نور) .. لقد .. لقد ....

سقطت يده الممسكة بالمسدّس الليزرىّ إلى جواره ، وخفض عينيه ، وهو يقول فى صوت واهن :

— هل عرفت ما كنت أعنيه يا (سلوى) ؟.. هل فهمت ..؟

تذكَّرت حديثه عن اضطرار الإنسان للجوء إلى العنف ، على الرغم من كراهيته له ، فغمغمت :

— نعم يا (نور) .. لقد فهمت .

ثم لاحظت استرخاء جسده ، وشحوب وجهه ، فصاحت وهى تحاول التخلُّص من قيودها :

— (نور) .. ماذا أصابك ؟.. ماذا بك ؟

وعندما لم تتلقَّ جوابًا ، ردَّدت جدران الحجرة السفلية صرختها ، التى تنادى باسمه فى لوعة ورعب ، قبل أن تفقد وعيها تمامًا ..

* * *

شعرت (سلوى) بجسدها خفيفًا هائمًا ، وسط فراغ لا نهائى ، وشعرت براحة شديدة ، وهى تسبح عديمة الوزن ، وحولها فضاء بلا لون ، يمتد إلى مالا نهاية ..

وفجأة .. ظهر (نور) من نقطة فى العدم ، وأخذ يسبح نحوها فى صعوبة ..

حاولت أن تهتف باسمه ، ولكن لسانها بدا ثقيلًا ، عاجزًا عن النطق ..

حاولت أن تمد ذراعها نحوه ، ولكنها كشفت أنها ما تزال مقيَّدة ..

بكت بدموع ساخنة ملتهبة ، وهى تتطلَّع إلى (نور) ، الذى يبذل جهدًا خارقًا للوصول إليها ..

تحرَّكت شفتاها باسمة ، دون أن يصدر من بينهما أدنى صوت ..

واقترب (نور) ..

اقترب فى صعوبة وألم ، كمن يسبح عكس التيار ، أو مَنْ يقاوم شلَّالًا متدفقًا ..

وأخيرًا .. وصل إليها ..

تحسَّس وجهها فى حنان ، ومسح دموعها فى رقَّة ، ثم أخذ يحلّ قيودها ..

تحرَّرت ، وأصبحت طليقة ، فرفعت كفيها إلى وجه (نور) ، الذى تألَّق بابتسامة تشفّ عن الراحة والسعادة ..

لم تكد تمس وجهه بكفيها ، حتى سالت الدماء من ملمس أصابعها ..

تراجعت فى ذعر ، ورأته يبتعد عنها ، ووجهه يمتلئ بالدِّماء ..

حاولت أن تصرخ ..

أن تلحق به ..

وفجأة .. صرخت باسمه ، وتردّد صوتها فى قوّة ..

واستيقظت ..

تطلّعت إلى جدران الحجرة السفلية فى ذهول ، ثم هبطت عيناها إلى أسفل ، واتسعتا فى ذُعر ، حينما رأت (نور) مستلقيًا إلى جوارها ، والدماء تلوّث وجهه من جُرح عنقه ..

مدّت يدها فى سرعة تمسح الدماء ، وهتفت :

ــ يا إلهى !!.. (نور) ..

تنبهت فجأة إلى أنها تحرّرت من قيودها ، فحدّقت فى وجه (نور) بذهول ، ثم قفزت واقفة على قدميها ، وانطلقت تعدو صاعدةً الممر إلى خارج الهرم ، وهى تهتف فى لوعة :

ــ ساعده يا إلهى !!.. ساعدنا يا ربّ .

* * *

١٣ ــ الختام ..

ربّت الدكتور (حجازى) على كتف (سلوى) فى حنان ، وقال وهو يتطلّع إلى (نور) ، الذى رقد فى حجرة العناية المركّزة ، فى مستشفى المعادى العسكرى :

ــ سينجو يا بنيّتى .. لقد أكّد الجميع ذلك .

غمغمت من وسط دموعها :

ــ لقد بذل جهدًا خارقًا ليحلّ وثاق يا دكتور (حجازى) ، ولولا هذا ما نجا أحدنا أبدًا .

هزّ رأسه فى حيرة ، وقال :

ــ لست أدرى كيف فعل ذلك يا بنيّتى ؟. لقد نزف كمية كبيرة من دمائه ، ومن العجيب أن يحتفظ بوعيه ، ويزحف إليك ، وينجح أيضًا فى حلّ وثاقك .

غمغمت فى حنان :

ــ هكذا (نور) دائمًا .. مثال للصلابة ، وتحدّى المستحيل .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم سألها الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـــ ولكنك لم تخبرنا بعد .. ما الذى كان (زهير) ينوى فعله فى قلب الهرم .

انحدرت دموع (سلوى) فى صمت ، وهى تتطلع إلى (نور) ، عبر زجاج حجرة العناية المركزة ، وتذكرت حديثه حول القوة والسيطرة ، فخفضت عينيها وهى تقول :

ـــ (نور) وحده يملك الحق فى ذلك ياسيدى .

هتف الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ـــ ولكننا ينبغى أن نعلم .. أليس كذلك ؟

ابتسمت فى حزن ، وقالت :

ـــ مَنْ يدرى ياسيدى ؟.. ربما .. وربما لا .

سألها فى حيرة :

ـــ ماذا تعنين ؟

صمتت لحظة ، قبل أن تقول :

ـــ كثيرًا ماتكمن الخطورة فى المعرفة ياسيدى، وأنا و (نور) نعلم ذلك جيدًا .. نعلمه من تجربتنا المؤلمة مع المعرفة .

ورفعت عينيها ، وهى تردف فى صوت مرتجف :

ـــ تجربتنا مع مملكة النار .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥